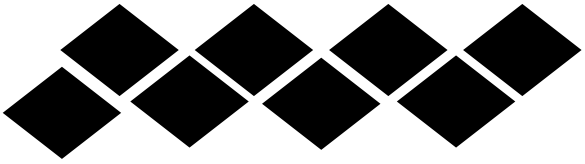

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

المؤلفات المجهولة في التاريخ الأندلسي وقيمتها التاريخية – عرض وتحليل-

د. منصف شلي

قسم الآداب واللّغة العربية – كلية الآداب واللّغات

جامعة الإخوة منتورى ، قسنطينة١، الجزائر

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥١) لسنة ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة: 1110 - 614X

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 1110 - 709X

موقع المجلة الالكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الملخص العربي:

يعالج هذا البحث الموسوم بـ " المؤلفـات المجهولة فـي التاريخ الأندلسي وقيمتها التـاريخية (عرض وتحليل)" ظاهرة المؤلفات التراثية التاريخية الأندلسية مجهولة المؤلف أو المصدر، حيث حاولت هذه الدراسة أن تحلل هذه الظاهرة المميزة في التأليف التاريخي الأندلسي خاصة، وأن تقف عند أسبابها وعوامل نشأتها.

وبشيء من التفصيل وقع الذكر على عديد الأمثلة من العناوين في هذا المجال، المفقود منها، والمحقق المطبوع، والمخطوط. كما اختط الباحث من خلال هذه الدراسة وقفة يسيرة مع المؤلف المجهول وملامح شخصيته العلمية والتـأليفية، لتبقـى الإشكالية مفتوحـة من خلال آفاق البحث وتصوراته نحو رؤى بعيدة واجتهادات عميقة.

الكلمات المفتاحية: مؤلف مجهول، التاريخ الأندلسى، تراث، المؤرخون.

١– ديباجة البحث:

مقدمة:

تعدّ المصادر التاريخية كنزا ثمينا للمؤرخين والباحثين والأكاديميين المتخصصين في هذا الشأن، وهي بالنسبة للدراسات الإنسانية عامة والتاريخية خاصة الموردَ والمعين، بل عماد البحث وقوامه وذروة سنامه. ومن هنا تظهر أهمية الخبر التاريخي المتضمن في هذه المدونات، وتتحدّد معها مسؤولية المؤرخ الناقد في معرفة المصادر وكُنهِها وهوية صاحبها، وكذا ترتيب هذه المصادر وتصنيفها وحسن تبويبها والاستفادة منها.

بل يتطلب الأمر أكثر من ذلك؛ من حيث تصحيح المعرفة التاريخية مما علق بها من أوهام وأغلاط وأباطيل، بل إن تمييز صحيحها من سقيمها هو من قبيل الواجب قبل أن يكون من قبيل المرتجى والمأمول. ولا يكون ذلك إلا بتوافر قوتين هما أهم ما يحتاج إليه المؤرخ من وسائل؛ و أعني بهما القدرة على التصور الصحيح والنقد الدقيق[١]، كما أن كلا الأمرين مرتبطين " فصحة التصور هي المدخل للنقد الدقيق".[٢]

٢– علم التاريخ في الثقافة العربية:

ارتبط علم التاريخ عند العرب في القرون الوسطى الإسلامية بالثقافة العربية والإسلامية في إطارها العام والشامل؛ وبالتالي فهو عندهم "جزء من الثقافة العربية ولا يمكن فهمه إلا بالإشارة إلى الفعاليات والتطورات الثقافية الأخرى، ولا تؤدي دراسته وحده إلا إلى فهم مرتبك مبتور لأصوله وتطوره".[٣] وعليه " فإن تطور الكتابة التاريخية يكون جزء حيويا من التطور الثقافي"[٤] ، وإذا كان التاريخ العربي والإسلامية وفي كل لحظات مده وجزره قد حفل بعديد المؤرخين والكتبة والمفكرين الذين أرخوا لحوادثه ووقائعه ومساره في شدّه وجذبه، فإن الطابع الاختلافي سيكون إحدى السمات الأساسية لكل المصنفات التاريخية على تنوعها.

١: إحسان عباس في تحقيقه لرسائل بن حزم الأندلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧، م١/٢، ص١٢.

٢ : المصدر نفسه، ص١٣.

٣ : عبد العزيز الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠، ص١٣١.

٤ : المصدر نفسه، ص٦٥

إنّ وفرة المادة التاريخية وتشعُّبها قد أفرز ضروبا من الكتابة التاريخية مثل: كتب التراجِم، والمدونات والحوليات التاريخية، و الوثائق وغيرها، وعلى هذا الأساس تشكّل التاريخ. و" معنى التأريخ العام، أي تسجيل أهم حوادث الأمم، وبمعنى الحوليات، أي تدوين الحوادث عاما عاما، و بمعنى الأخبار مرتبة حسب العصور."[٥]

أو بمعنى تحديد بداية الأخبار الخاصة بعصر من العصور وبمعنى حساب الأزمان وحصرها، وبمعنى تحديد زمن وقوع الحوادث تحديدا دقيقا."[٦] ويسير به أحد الباحثين نحو التدوين الشامل، فهو باعتباره من " مصطلحات الثقافة العلمية ينطبق على الحوادث الحولية، كما ينطبق على تراجم الرجال وسيرهم، لا على تاريخ شامل للثقافة العقلية بصفة عامة."[٧]

وقد اهتم العرب قديما بالتاريخ وبالتدوين التاريخي، كما اهتموا بالأخبار وأسانيدها، وأفردوا مدونات شتى وفصول عديدة للسند والأسانيد وأولوا العناية بهما. كما انصب اهتمام أصحاب التاريخ والمتخصصين فيه عن المدونات التاريخية وكل ما يتعلّق بها وما يمتُّ إليها بسبب، ويمموا بفكرهم واجتهادهم نحو البحث والتقصي عن أصحابها وعن مذاهبهم وعقائدهم ومللهم ونحلهم، فالكتابات التاريخية – في الغالب الأعم – ليست حيادية.

و ليس المقصود بالبحث في أصولِ ومصادر الخبر التارِيخي، مجرد هواية في تقصي وتتبع السلسلة الإسنادية، وصولا إلى مظانّ الخبر الأولى وتحري صدقيته، بقدر ما هو إسناد شرعي لمحمولات ثقافية تشكل النسق العام للثقافة العربية والإسلامية (الهوية الثقافية العربية والإسلامية) من خلال تلك النصوص التاريخية.

وإيمانا منهم بأن قيمة الرواية تكمن في الثقة براويها " فقد غدا التاريخ جزءا لا يتجزّء من الثقافة الإسلامية."[٨]

٣- <u>الكتابة التاريخية في الأندلس:</u>

---

٥ : جب (H.A.R.GIBB) : علم التاريخ، كتب دائرة علم المعارف الإسلامية (٤)، ترجمة: لجنة دائرة المعارف الإسلامية (إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨١، ص١٥.

٦ : المصدر نفسه، ص ١٥، ١٦.

٧ : المصدر نفسه، ص ٤٥.

٨ : جب : علم التاريخ، دائرة علم المعارف الإسلامية، ص٦٦.

يزخر التاريخ العربي والإسلامي في الأندلس على امتداد مساره الطويل من الفتح الإسلامي في سنة (٩٢هـ/٧١١م) إلى غاية سقوط الأندلس في سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) بماضٍ سياسي حافل وأحداث مهمة وجسيمة شكّلت منعطفا حاسما لتاريخ الأمة العربية والإسلامية في الغرب الإسلامي وحتى في شبه الجزيرة الأيبيرية كلها فيما بعد.

وكل من يتحدث عن تأثيرات الحضارة العربية والإسلامية في أوربا القروسطية إلا ويعرج على إسهامات الأندلس والأندلسيين فيها حيث " خلّف الأندلسيون تراثا مجيدا امتدّ أثره إلى بلاد الشرق العربي والإسلامي وبقي كثير من آثاره في إسبانيا نفسها على نحو جعل لها طبعا ميزها عن سائر البلاد الأوربية، ثم كان له فضل على أوربا في نهضتها الحديثة."[٩]

وطبيعي أن يصدق ذلك كله، تلك المدونات التاريخية الأندلسية العربية وغير العربية التي تحدثت عن مسار التاريخ الأندلسي السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري، وعن انتصاراته وانكساراته، فقد سيقت المؤلفات تترى شاهدة على كل ذلك، فمن ذا الذي يزري على هذا المذهب إذا خرج القول فيه معضودا بالحجة ومقروعا بالدليل؟

" ولقد أسهم في تدوين تاريخ الأندلس أشخاص من أقوام مختلفة وبدرجات متفاوتة، فكان الفاتحون من عرب وبربر من جهة، – المولدون– من جهة أخرى، الرومان، الإسبان الأعاجم، وكانت هذه العملية ترتبط بالعرب في بداياتها، وفيما بعد فقط ومنذ القرن التاسع، حيث الاستعراب واعتناق الإسلام، أخذ المولدون وبعض البربر يسهمون فيها إسهاما واسعا."[١٠]

وإذا تحدثنا عن ذيوع التدوين التاريخي في الأندلس، فإن الفقهاء والعلماء والمحدثين وكتّاب التراجم هم من أرسوا دعائم هذا العلم وجعلوا لهذا الفن قواعد وأسسا، حيث جمعوا المواد والمعلومات وأعدوها فاكتست بالتدرج طابعا واعيا وهادفا، " كما أخذ فن التاريخ يتطور آنذاك بشكل متوازٍ من تطور فن التراجم مرتبطان بعضهما مع الآخر."[١١]

---

٩ : محمود علي مكي: تاريخ الأندلس السياسي (دراسة شاملة)، ضمن كتاب: سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩، ج١، ص١٤٣.

١٠ : ك.بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس في القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن التاسع، نقله إلى العربية: نايف أبو كرم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٩، ص١٢.

١١ : بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص٩.

وما إن أطل القرن الثاني والثالث والرابع للهجرة حتى ظهرت بواكير المؤلفات التاريخية الأندلسية، متحدثة عن الأندلس وأخبارها ومسار الفتح الإسلامي، وعن كل الشخصيات الفاعلة والمسهمة في أحداث تلك الفترة.

هذا و إن كان من العسير على الباحثين تحديد البدايات الأولى للتاريخ الأندلسي وصانعيه، فإن الإجماع قد وقع على " أن أقدم مؤّرخ أندلسي أمكننا التعرف عليه، فقيه مشهور اسمه عبد الملك بن حبيب (توفي في سنة ٢٣٨ هـ/٨٥٢ م)."[١٢] وقد صنعت ملحمة هذا الفن بعده أسرة شهيرة، هي أسرة (آل الرازي)، بدءا من عميدهم ومؤسس مجدهم المؤثّل، أحمد بن محمد بن موسى المتوفي في سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م).[١٣] " ومع ابنه عيسى بن أحمد ظهرت أولى الأعمال التاريخية الجديرة بهذا الاسم"[١٤]

ونحن إذا عرضنا إلى الأعلام الذين كانوا من حسن طوالع هذا الفن في الأندلس، فإننا لا نتجاوز عريب بن سعيد (٣٧٠هـ/٩٨٠م)، وعثمان بن ربيعة (٣١٠هـ/٩٢٢م)، ومحمد بن عمر بن لبابة (٢٢٥ - ٣١٤ هـ / ٨٤٠- ٩٢٦ م) والذي ذاعت شهرته بوصفه مؤرخا أندلسيا عظيما ومقتدرا، قال عنه ابن الفرضي " كان حافظا لأخبار الأندلس مليئا بها."[١٥] أما إذا ذكرنا أبا مروان حيان بن خلف القرطبي (ت ٤٦٣هـ) " صاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس وملوكها"[١٦] لن نتحرج في وضعه على رأسي مؤرخي الأندلس قاطبة من الفتح إلى السقوط.

ولسنا في حاجة إلى التأريخ لمسار فن التاريخ في الأندلس فليس موضعه هاهنا، كما أن الباحثين ممن عرضوا لهذا الموضوع قد بسطوا فيه القول الصراح متحدثين عن

---

١٢ : شارل بيلا: أعمال التاريخ في الأندلس، أصلها وتطورها، ضمن كتاب برنارد لويس، ب. م . هولت: مؤرخو العرب والإسلام حتى العصر الحديث، نقله إلى العربية و قدم له: سهيل زكار، دار التلوين، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨، ص١٨٨./ وحول ترجمة عبد الملك بن حبيب ينظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧، ص٢٢١-٢٢٣، ترجمة رقم (٨١٦).

١٣ : ينظر ترجمته عند الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧، ص٩٢، ترجمة رقم (١٧٥).

١٤ : شارل بيلا: أعمال التاريخ في الأندلس، أصلها وتطورها، ص١٨٨.

١٥ : : تاريخ علماء الأندلس، ص٣٢٠، ترجمة رقم (١١٨٩).

١٦ : الحميدي: جذوة المقتبس، ص١٧٦، ترجمة رقم (٣٩٧).

الأعلام والأعمال. ويعتبر المستوى الرفيع الذي وصل إليه التأريخ الأندلسي إحدى الوسائل التي عبر بها الأندلسيون عن هويتهم وذاتيتهم وشخصيتهم."[١٧]

٤- المؤرخون المجهولون في التراث الأندلسي:

ثمة شيء ملفت للانتباه بالنسبة للدارس المتصفح للتراث التاريخي الأندلسي، وهو وجود ظاهرة مميزة ، أعني بها تلك الكتب مجهولة المؤلف، وهي ظاهرة تستحق الوقوف عندها بالتحليل والتعليل والدرس والمناقشة؛ للكشف عن مضمون نصوصها ومعرفة قيمتها التأريخية والتوثيقية والفنية، نظرا لأهميتها وتفردها بين كتب التاريخ.

وكل بحاثة مطّلع دؤوب على نصوص التاريخ الأندلسي، تسعفه – ولا ريب – هذه المصنفات التاريخية مجهولة المؤلف على جلاء كثير من الجوانب التاريخية والحقائق والوقائع المتصلة بالتاريخ السياسي للأندلس وما جاورها في تلك الفترة، وخصصنا بالذكر التاريخ السياسي " لأن الوعاء السياسي هو الذي يستوعب النشاطات الإنسانية الأخرى ويؤثر فيها."[١٨]

ومن هنا كان حقيقا علينا أن نتساءل عن قيمة هذه المصادر التاريخية والحوليات مجهولة المؤلف، وعن أصولها وقيمتها التاريخية والتوثيقية وكذا الفنية والحضارية، فهي تحوي بعض الأحداث المفصلية والمحطات التاريخية المهمة من عمر الأندلس، بحيث يعز على الباحثين الحصول عليها من مصدر آخر غيرها.

كما أن التفسيرات التاريخية المشفوعة بهذه النصوص قد عكست روح مؤلفيها، فكل نص منوط بفكر وشخصية صاحبه يوجهه حيثما يشاء، فهو خاضع لتوجهه ورؤيته الخاصة للأحداث من حيث تفسيرها وقراءتها وطريقة سردها والتعليق عليها. وهل ينكر أحد " أن كل مؤلف مقيد بالنظام السياسي الذي يعيش في كنفه."[١٩]

ومن سمات الكتابة التاريخية " أنها تتميز بأبعاد متعددة، فهي تشمل المادة التاريخية المتوفرة في المصادر الأولية والتي تختلف من موضوع لآخر، ثم هناك مسألة

١٧ : أمحمد بن عبود: المصادر العربية التاريخية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ط٢، ١٩٩٩، ص١٤٨.

١٨ : إحسان عباس: رسائل ابن حزم الأندلسي، م١/٢، ص٢٥.

١٩ : جب: علم التاريخ (دائرة المعارف الإسلامية)، ص٧٥.

اختيار المؤرخ للمادة التي سينطلق منها لمعالجة موضوعه، ومن الجدير بالذكر أن هذه الأخيرة بإمكانها أن تتأثر بعوامل ومقاييس متعددة، ونضيف إلى ذلك مساهمته (إسهامه) الشخصية في فرض هذه المادة من خلال تفسيراته ومن خلال العلاقة بين ما ينتجه المؤرخ وما يبدعه ويعبر عنه."[٢٠]

لقد أراد المؤرخون المجهولون في تلك الفترة، تقديم صورة واقعية من غير مبالغة لتاريخ المسلمين في الأندلس منذ بداياته، ونقل صورة حقيقية، صادقة، واقعية وأمينة، وكانت الفكرة المركزية (سرد التاريخ والوقائع) هي عرض الظروف والأحداث التاريخية المهمة، وأحيانا تقديم صورة بكل تفاصيلها وحيثياتها.

" لقد تجلت خصوصية التطور الثقافي في الأندلس من خلال علم التاريخ العربي، واستفاد التاريخ العربي من وسائل التعبير التي استخدمها، ومن الفنون والأساليب التعبيرية التي كانت سائدة في الأخبار الأدبية العربية، وكان في الوقت نفسه نتاجا للوسط المحلي، فكان يتطلع لتلبية الحاجات المحلية السياسية، الاجتماعية، والعلمية و الثقافية."[٢١]

وإذا اعتبرنا الكتابة التاريخية في الأندلس جزءاً من المعرفة بمفهومها العام، فإننا نعدّها جزءا من التطور الثقافي الحاصل في الجانب الثقافي.

إذن فالصورة التي تنتصب في وعي كل مستقرئ لهذه النصوص مجهولة المؤلف، أنها قد جسدت بذاتها منحى فريدا في التراث التاريخي الأندلسي، وفي تطور هذا الفن وإسباغه خصوصية محلية. لكن – وفي حكم المؤكد– أن هؤلاء المجهولين قد أقاموا للتاريخ سوقا، فنفق التاريخ وصار له متجرا.

وما سنبينه في قادم الصفحات، وما سنَسوقه من أمثلة في هذا الباب، إنما هو من قبيل تبيين الأصل فقط لهذا الذخر المركوم، وإلاّ فإن صفحات البحث المعدودة لا تفي الموضوع حقه.

٥- أسباب غياب أسماء المؤلفين في هذه الكتب التاريخية:

يصعب على الباحثين والمؤرخين إيجاد أسباب غائبة أصلا في عدم ذكر أصحاب هذه المدونات التاريخية لأسمائهم وألقابهم وكناهم، فلا توجد إشارات دالة على ذلك في

---

٢٠ : أمحمد بن عبود: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، ص١٢٩.

٢١ : بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص٩١.

أسانيد هذه الأخبار ولا في متونها، و كل ما في الأمر أن محققي هذه المدونات قد توصلوا بصيغة تقريبية إلى تحديد عصور هؤلاء المجهولين وأزمنتهم التي كانوا يعيشونها، أو تحديد الفترات السياسية التي عاشوا في ظلها انطلاقا من آخر حوادث أو وقائع ذكروها وأرخوا لها أو أشاروا إليها.

وحتى بعض الباحثين المحققين ممن سنذكرهم في مواضعهم – إن شاء الله تعالى– والذين توصلوا بعد اجتهادات علمية وتحقيقات وافية إلى الكشف عن أسماء بعض المدونات المجهولة المصدر، هي – في رأينا– استنباطات وافتراضات لا تستند على دليل ثابت ولا تعود إلى سند صحيح. ويمكن أن نذكر إجمالا عديد الأسباب والعوامل التي أدت إلى "ضياع" أو " سقوط " و" غياب أو تغييب" أسماء المؤلفين في هذه المصادر التراثية، فيما يأتي:

أ- ضياع الصفحات الأولى من الكتاب أو المخطوط الأم، بحيث يبقى بمضمون المتن ما لا يرشد إلى هوية صاحبه، وقد تحصل بعد ذلك نسخ أمينة للأصل المخطوط، فيحمل الأمر تاليا على هذا الوجه ويبقى كذلك.

ب- قد يكون بعض هؤلاء المؤلفين المجهولين تعمد عدم ذكر اسمه، وهو ما يعكس تلك الرغبة الشديدة في وصف الأحداث التاريخية وتفسيرها والتعبير عن الحقيقة كما رآها المصنف أو نقلها وقرأها أو سمع عنها، أو كما تصور تلك الحقيقة أو اعتقدها. كما يعكس ذلك كله تلك الشخصية المستقلة والروح الموضوعية في كتابة التاريخ ونقل حقائقه بصورة أمينة، وبالتالي التعبير عن رأي مستقل حول شخصية تاريخية أو أسرة حاكمة، أو حقبة سياسية معينة، أو أحداث معلومة أو مخصوصة.

ت- قد يكون بعض هؤلاء المؤرخين المجهولين من المعارضين للسلطة السياسية في الأندلس في أي فترة من الفترات، أو حتى من بعض المؤرخين الرسميين للبلاط ممن أزتهم بعض الأحداث أزّا وغشيتهم الخشية على أنفسهم، فراحوا يدونون ويبدون آراءهم فيما اعتقدوا صحة تفسيره وبحرية تامة كذلك، وكان ذلك إحدى الدواعي الأساسية لإخفاء أسمائهم، خاصة وأن التاريخ ومنذ نشأته يرتبط بوجهة نظر السلطة الرسمية، حيث لا محيد للكاتب عنها ولو بغير إرادته.

فمن الثابت أنه وبعد أن قامت أركان الدولة ومؤسساتها جأر " التاريخ السياسي في الغالب إلى أيدي العمال ورجال البلاط، وقد أثر هذا التغيير في أسلوبه ومادته وروحه."[٢٢]

ث- قد يكون بعض هؤلاء المؤلفين أو الكتبة قريبا من السلطة السياسية في تلك الفترة، أو من كتاب الدواوين وموثقي القرارات والأحكام السلطانية أو الأميرية ممن لم ترضهم سير الأحداث التاريخية، وربما كان شاهدا على بعض التجاوزات الحاصلة من دوائر السلطة، فأنشأ - ناقلا أمينا – ما يعبر به عن الوقائع السياسية والأحداث التاريخية والقرارات المصيرية.

ج- كان الدافع الأعظم والأسمى للكتابة التاريخية في الأندلس واجبا دينيا مقدسا[٢٣] ، ولهذا فقد ترك الوازع الديني على بعض هؤلاء المؤرخين أثره، فقد تمثل عندهم في لحظة كتابة الحقيقة التاريخية كما هي، كما أن للإنسانية المتجلية بين مواريثهم ومكنوناتهم الوجدانية إشراقات غير قليلة في مرحلة التدوين ينبغي ألا تكون موضع إنكار.

وليس يرجع هذا في جميع مآلاته إلى كل المؤرخين، ولهذا فإن البعض ممن يتحلّون بهذه الصفات كانوا تواقين لإخفاء أسمائهم وألقابهم وكناهم، مشتغلين بإظهار الحقائق كما هي، وهي غاية كل واحد منهم.

ح- توجد بعض هذه المدونات – مجهولة المؤلف – نصوصها مهترئة بالية من حيث مستوى التعبير واللغة ا لتي كتبت بها، وهو ما يعبر عن الطابع الشعبوي لصاحب التأليف وعن ضعف مستواه، فقد يكون من العامة الذين دونوا بعض الملاحظات أو المشاهدات العينية، أو سجلوا بعض الانطباعات حول أحداث ووقائع معية، أو قاموا بوصف مشاهد ورحلات، وبالتالي فإن بعدهم عن هذه الصناعة والتخصص جعلهم ينأون بأنفسهم عما كتبوه.

تلك كانت بعض الخلاصات النظرية العامة التي يمكن الخروج بها من هذا الاستقصاء لأسباب ظاهرة غياب أسماء المؤلفين في التراث التاريخي الأندلسي، وهي اجتهادات وقراءات لا نهائية، بل قد تكون تأصيلية، وربما تفتح بابا للتساؤلات الممكنة حول أصل هذه القضية وأسبابها والعوامل الكامنة خلفها.

---

٢٢ : جب: علم التاريخ، ص٧٦.

٢٣ : أمحمد بن عبود: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، ص١٤٣.

وهي أسباب – في تقديرنا فقط وحسب اجتهادنا – قد غيبت –عفوا أم قصدا– أسماء المؤلفين لهذه الكتب والحوليات التاريخية والوثائق والرسائل بشكل عام، وهي وإن كانت مجرد افتراضات بحاجة إلى نفحات بحثية أعمق واجتهادات أكبر تتخذ من الزمان مجالا لها، كما أنها تحتاج في المستقبل إلى الاستعانة بالحجج والأدلة التي من شأنها أن تعود على هذا الموضوع بالتأييد والتعضيد والتقوية.

وربما يكشف لنا التاريخ يوما هذه الأسماء المجهولة، ويزيح الستار عنها، خاصة أن بواطن المكتبات العامة والخاصة المعلومة منها والمجهولة، مازالت تحتفظ بكنوز التراث العربي والإسلامي المخطوط أو المفقود، فقد تسعفنا بعض نسخ هذه المؤلفات المجهولة في حمل أسماء مؤلّفيها.

٦– <u>المؤلفات التاريخية مجهولة المؤلف: عرض وتقديم:</u>

حاول بعض الباحثين المتخصصين في النراث التاريخي العربي والإسلامي حصر كل مدوناته في أربعة أضرب هي:

١– تواريخ محدودة الزمن (تاريخ الأسر الحاكمة مثلا)
٢– تواريخ محددة المكان (تاريخ مدينة أو منطقة).
٣– تواريخ حسب مادة الموضوع (تاريخ سياسي أو عسكري، أو تاريخ أدبي أو علمي، او تاريخ أعيان الناس وأشرافهم.)
٤– طرق مختلفة للعرض (ترتيب زمني للأحداث أو أبجدي).[٢٤]

إن الناظر بتؤدة إلى التراث التاريخي في الثقافة العربية يجده كالشجرة الثابتة في الأرض، الباسقة في السماء، المتفرعة الأغصان، حيث إن لكل غصن سمته التي تميزه عن باقي الأغصان الأخرى، من حيث الطول والتفرد والإنتاج وغيرها.

لقد كان النتاج التاريخي في التراث الأندلسي يشكل إحدى السمات المتميزة من هذا النتاج العام، وإن كان جزءا من الكل، ولهذا فقد نحا به المستشرق شارل بيلا منحى آخر في التقسيم، يجانس التقسيم السابق، ويأخذ خصوصيته من حيث التميز المحلي وهو كالآتي:

١– التواريخ العامة للأندلس.

٢٤ : شارل بيلا: أعمال التاريخ في الأندلس، أصلها وتطورها ، ص١٨٧.

٢- تواريخ الأسر الحاكمة.

٣- مصنفات التراجم.

٤- التواريخ المنظومة شعرا.[٢٥]

وإن عرضا خاطفا وسريعا لهذه المدونات مجهولة المؤلف – والتي أمكننا جمعها- تجعلنا نقر بتقاطعها مع التقسيمين السابقين اللذين حددهما المستشرق الفرنسي شارل بيلا، ولا عجب في ذلك فهي جزء من هذه الدوحة التاريخية التراثية الجليلة بفرعيها (التاريخ العربي والإسلامي عموما، والأندلسي خصوصا)، ورغم ذلك فهي تتميز عنهما من حيث إنها تضُم تواريخ الأعيان ومن الأسر والشخصيات المعارضة للسلطة المركزية في قرطبة، وكذلك تواريخ الثغور أو مناطق الحدود الشمالية، إضافة لبعض تواريخ الأنساب، وبعض الوثائق الديوانية النادرة التي جمعت في عهد الموحدين من طرف مؤلف مجهول.

ناهيك عن بعض كتب الجغرافية، ووصف الأماكن وغيرها، ولا ضير في ذلك " فقد بدا التأليف في الجغرافية في الأندلس في نفس الوقت أي ظهرت فيه التواليف التاريخية، وكان الجغرافيون الأولون في الأندلس مؤرخين وجغرافيين في آن واحد."[٢٦] وسيجد المتصفح لهذا البحث نموذجا متميزا لمؤلف مجهول، جعلناه مع المدونات السابقة وهو " كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس"، ويهتم – من خلال ما كتبه صاحبه- في التأريخ لبعض العادات الاجتماعية والحضارية في الأندلس والمغرب عموما.

وعزّزنا ذلك كله بنماذج من الكتب الأدبية والمختارات الفنية – مجهولة المصدر، حيث ارتأينا أن نأتي على ذكرها عرضا وأن نلحقها بجملة التواريخ العامة؛ فتاريخ أمة من الأمم أو قطر من الأقطار، هو تاريخ لمساره السياسي، و الفكري والثقافي، والفني والأدبي، والحضاري بشكل عام.

وحري بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن جزءا من هذه المصادر مازال مفقودا إلى حد الساعة، ولا نعلم عنها شيئا سوى ما ذكرته المصادر التراثية المختلفة، مثل كتب الأدب والتواريخ العامة والأخبار والفهارس، والتراجم والطبقات، والتي عرضت إلى ذكر عناوين هذه

---

٢٥ : : شارل بيلا: أعمال التاريخ في الأندلس، ص١٩١-١٩٨.

٢٦: الـ سيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٨، ص٢٠٠.

المصادر فقط، كذلك إن البعض من هذه الكتب مازال مخطوطا ومحفوظا في بعض المكتبات العامة، حيث أشار إليها الباحثون والدارسون.

ونحن هنا إن نستعرض طائفة من هذه المدونات، إنما هو من قبيل ذكرها والتعريف بها في بطاقة فنية، وهي تنتظم آليا في ذهن الباحث الحصيف في إحدى التقسيمات السابقة.

أ- الكتب المفقودة:

منها ما يختص بالتواريخ العامة السياسية، وتاريخ بعض الأسر والأعيان والشخصيات وأعمال الثغور في الأندلس، وقد ضمت كذلك بعض العناوين المتعلقة بأخبار الشعراء والفقهاء والأدباء والأنساب وغيرها، وهي كالآتي:

✓ أخبار عمر بن حفصون القائم برية ووقائعه ويبره وحروبه:

لا نعلم شيئا عن هذا الكتاب سوى ما ذكره الإمام ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) عنه، حيث أكّد أنه شاهده بنفسه من جملة التواريخ المؤلفة وذلك في رده على ابن الربيب القروي في رسالته الشهيرة (في فضل الأندلس) إذ يقول: " ... وتواريخ متفرقة رأيت منها أخبار عمر بن حفصون القائم برية ووقائعه وسيره وحروبه."[٢٧]

أما الشخصية المحورية في هذا الكتاب فهو " عمر بن حفص المعروف بابن حفصون، كان من الخوارج القائمين بالأندلس بأعمال رية قبل سنة خمس وسبعين ومائتين، وكان جلدا شجاعا أتعب السلاطين وطال أمره لأنه كان يتحصن عند الضرورة بقلعة هناك تعرف بلقعة ببشتر موصوفة بالامتناع، وقد أُلِّفَت بالأندلس في أخباره وحروبه تواريخ مختلفة."[٢٨]

وقد أخمدت حركته في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) (٣٠٠-٣٥٠هـ) بسقوط قلعة "بوبا سترو" عام (٣١٥هـ/٩٢٨م).

وقد ذكره ابن حيان القرطبي (ت٤٣٦هـ) في تاريخه (المقتبس)، حيث عقد فصلا بعنوان (أسماء المخالفين على الأمير عبد الله الخارجين على الجماعة، المضمومين

---

٢٧ : المقري التلمساني: نفح الطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ج٣، ص١٧٣./ ابن حزم: مجموع الرسائل، م١/٢/ص١٨٣.

٢٨: الحميدي: جذوة المقتبس، ص٢٦٨، ترجمة رقم (٦٨٧).

لنار الفتنة... فأولهم وإمامهم وقدوتهم عمر بن حفصون (٣٠٥هـ/٩١٧م) أعلاهم ذكرا في الباطل وأمحضهم بصيرة في الخلاف."[٢٩]

✓ تاريخ في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي:

وعبد الرحمن بن مروان الجليقي هذا، هو القائم بالجوف (توفي بعد سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، من أئمة المردة الذين قاموا في الثغور الشمالية للأندلس، يقول عنه ابن حيان:" عبد الرحمن بن مروان بن يونس، إمام المردة، ذو الأخبار العظيمة، والنزوات الشنيعة، والفتكات المشهورة."[٣٠]

وقد اشتهر الجليقي هذا بوصفه إمام المتمردين على السلطة المركزية في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة، وقد أتعب أمراء بني أمية طويلا، وألّفت حوله الأخبار ونسجت حوله الأساطير، نظرا لقوته ومنعته وكثرة أتباعه ومريديه، وكان في بادئ أمره " مولد الوالي بداخولس، والذي تمرد على السلطة المركزية سنة (٢٥٤هـ/٨٦٨م) واستطاع عبد الرحمن الثالث في عام (٣١٨هـ/٩٣٠م) أن يتصالح مع أحفاد الجليقي الذين حكموا الأندلس."[٣١]

وقد كتب عنه تاريخ عرف من خلال اسمه فقط، حيث أورده ابن حزم في رسالته ولم يذكر اسم مؤلفه " ... وتاريخ عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف."[٣٢]

✓ كتب عن القلاع وعن ست مناطق عسكرية:

لا يعلم عن هذا التاريخ شيئا سوى اسمه فقط، وقد أورده الإمام ابن حزم الأندلسي في رسالته في فضل الأندلس وذكر رجالها، حيث يقول في معرض سرده لتواريخ بلاده المسجلة والمقيدة: " ومنها كتب مؤلفة في أصحاب المعاقل والأجناد الستة بالأندلس."[٣٣]

---

٢٩ : ابن حيان القرطبي: السفر الثالث من كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٩، ص٤٩. وانظر حوله في المصدر نفسه، ص٤٥، ٤٦، وغي عيرها من الصفحات./ أبو بكر ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩، ص٧٧ وما بعدها./ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٤، ١٩٩٧، ص٣٠٩، وما بعدها، وكذلك ص٣٠٨ وما بعدها./ بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص١١٤. وفي غيرها من المصادر والمراجع.

٣٠ : ابن حيان: المقتبس (السفر الثالث)، ص٤٥.

٣١ : بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص١١٣.

٣٢ : المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٧٣، ١٧٤./ ابن حزم: الرسائل، م١/٢/ص١٨٣.

٣٣ :المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٧٣، ١٧٤./ ابن حزم: الرسائل، م١/٢/ص١٨٤.

والمقصود فيها الجند الستة، خمسة شاميين ومصري واحد، قدموا الأندلس عام (١٢٣هـ/٧٤١م).[٣٤]

ورغم ذلك فإننا نجهل هذا الكتاب وكل السياقات والظروف المحيطة به.

✓ <u>تواريخ الثغور: (بنو قسي، بنو الطويل، التجيبيون):</u>

هذه تواليف تاريخية مجهولة المؤلفين، لا يعرف عنها سوى عناوينها فحسب، وقد ذكرها وأثنى عليها أبو محمد بن حزم في رسالته الشهيرة في فضل أهل الأندلس في جملة المؤلفات التاريخية ا لتي ساقها وعددها في حديثه عن مآثر أهل بلده حيث قال: " وتواريخ متفرقة رأيت منها .... وفي أخبار بني قسي والتجيبيين وبني الطويل بالثغور، فقد رأيت منها كتبا مصنفة في غاية الحسن."[٣٥]

وظاهر القول إن هذه الكتب التاريخية قد أرخت لحركة المعارضة الشهيرة التي قامت في شمال الأندلس في فترتي الإمارة والخلافة وكادت تقوض أركان الدولة الأموية في الأندلس، لو لا أن قيض الله لها سلطة مركزية جمعت بين الحزم والقوة من جهة والحكمة واللين من جهة أخرى ، فقوضت هذه الحركات التي تطاولت واستطالت. ونظرا لخطورتها وأهميتها جمعت عنها الأخبار وصنّفت حولها التصانيف، وقد ذكر ابن حزم هذه الأسر والدويلات بعد أن ساق حديثه عن أخبار عمر بن حفصون، وعبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف.

وفي هذا الإطار يقول أحد الباحثين: " هي كتب مجهولة المؤلفين عن منطقة الحدود الشمالية لإسبانيا العربية وعاصمتها سراغوس، هكذا يسميها عيسى الرازي ويورد في مؤلفاته بعض المقاطع منها."[٣٦] ثم يردف قائلا: " ويتضح من استشهادات عيسى الرازي أن هذه الكتب قد خُصّصت لتدوين تاريخ الملوك الذين اعتبروا اسميا فقط موالين لأمويي قرطبة من الناحية الاسميَة فقط، بينما كانوا من الناحية العلمية يمارسون سياسة مستقلة، فتارة

---

٣٤ : بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص١١٢. وينظر حوله: حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦، ج١، ص٢٤.

٣٥ :المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٧٣، ١٧٤./ ابن حزم: الرسائل، م١/٢/ص١٨٤.

٣٦ : بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص١١١.

يقيمون علاقات سلمية مع الأمويين وتارة أخرى يتحاربون معهم متحالفين مع الدولة المسيحية."[٣٧]

✓ <u>كتاب أنساب العلويين والطالبيين القادمين من المغرب:</u>

هذا كتاب اقتصر فيه صاحبه على ذكر أنساب العلويين والطالبيين القادمين من المغرب إلى الأندلس، من الفرعين الزكيين معا (الحسن والحسين – رضي الله عنهما-).

وكم نأسف على فقدان هذا السفر النبيل الذي يوثق السلالة العلوية المباركة القادمة من البلاد المغاربية والداخلة إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، وقد ذكره ابن الأبار القضاعي البلنسي (٥٩٥هـ-٦٥٨هـ/١١٩٨م-١٢٦٠م) في ترجمة مؤمن بن غالب: "مؤمن بن غالب بن عيسى بن عثمان بن عبد الله بن هاشم الداخل إلى الأندلس، بن الحسن بن إبراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب –رضي الله عنهم- نزل جدهم هاشم لبلة في حين دخوله إلى الأندلس، و تعرف منازلهم بمنازل الهاشمي، وكان مؤمن هذا من أهل الطلب والعلم، وقع ذكره في كتاب أنساب العلويين والطالبيين القادمين من المغرب) مما صنع للحكم المستنصر بالله رحمه الله.[٣٨]

أما المقري التلمساني (992هـ-١٠٤١هـ = ١٥٨٤م-١٦٣١م) فقد ذكر هذا الكتاب في ترجمة هاشم بن الحسين منسوبا إلى الحكم المستنصر حيث يقول: " ومن

---

٣٧ : المصدر نفسه: ص١١١، ١١٢.

- أما عن الأسر فينظر على التوالي:
  - بنو قسي: ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٢، ٩٠، ٩١./ ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها: خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠٠٩، ص٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٣ ./ ابن الدلّائي، أحمد بن أنس العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ص٤١ وما بعدها، وص٦٥ وما بعدها./ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، ص٣٣٦، وما بعدها.
  - بنو طويل: العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص٦٥ وما بعدها./ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩، ٥٠٠.
- وحول ثورات الثغر الأعلى وثورات العرب ينظر: عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ع١/ق١/ص٣٢٣ وما بعدها.

٣٨ : التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥، ج٢، ص٢٠١، ٢٠٢، ترجمة رقم (٥٤٨).

الداخلين من المشرق إلى الأندلس هاشم بن الحسين بن إبراهيم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنهم أجمعين– ونزل حين دخوله بلبلة، وتعرف منازلهم بمنازل الهاشمي، وذكره أمير المؤمنين الحكم المستنصر في كتابه (أنساب الطالبيين والعلويين القادمين من المغرب).[٣٩]

ونحن نطمئن إلى رواية ابن الأبار القضاعي باعتباره الأقدم زمنا (توفي سنة ٦٥٨ هـ) من المقري (توفي سنة ١٠٤١ هـ)، كما نطمئن من جهة أخرى إلى أن الكتاب كان سائدا ومنتشرا حتى زمن ابن الأبار إن لم نقل إنه وصل إلى زمن المقري التلمساني.

أما حديث صاحب النفح عن نسبة الكتاب إلى الحكم المستنصر (توفي سنة ٣٦٦ هـ)، فمن المعروف أن الخليفة الحكم الثاني المستنصر كانت تصنّف له الكتب والتصانيف " وكان مع هذا كثير التهمُّم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها، وقلّما تجد له كتابا كان في خزانته إلا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم."[٤٠] فلعل هذا ما بقي من تعليقاته على كتاب أنساب العلويين والطالبيين القادمين من المغرب، خاصة أن الخليفة كان مولعا بفنون العلم " باحثا عن الأنساب".[٤١]

ويحمل هذا الصنيع قيمة مثلى، تتمثل في تقدير الحكم المستنصر وتوقيره للأسرة العلوية، حيث لا يعدُّها خصما للسلطة المركزية، كما حفل أجداده في المشرق، وهو يكشف من وجه آخر روح التسامح وبعد النظر، وهما سمتان يتحلى بهما هذا الأمير.

✓ <u>كتاب الطوالع في أنساب أهل الأندلس:</u>

هذا كتاب آخر في علم الأنساب الذي اهتم به الأندلسيون وأفردوا له المصنفات وتصدّوا له بالعناية والتأليف، حيث قيدوا أنسابهم وأُسرهم وأنساب الوافدين والداخلين إليهم، ولدينا ثَبَتٌ طويل جدا من الأسفار والكتب المتعلقة بالأنساب مما صنعها علماؤهم وإخباريوهم، وكانت كتب التراجم والطبقات دائما معرضا لذكر كل المعلومات المتعلقة بأنساب الرجال والعلماء من أهل البلد ومن الوافدين.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا كسابقيه لا نعرفه إلا من خلال عنوانه الذي أورده ابن حزم في رسالته فضل أهل الأندلس دون أي إشارة إلى اسم مؤلفه وهو أول من ذكره حيث

---

٣٩ : نفح الطيب، ج٣، ص٦٠./ بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص١٨٠.

٤٠ : الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٥، ج١، ص٢٠٢.

٤١ : المصدر نفسه، ص٢٠١.

يقول: " .. ومنها كتاب الطوالع في أنساب أهل الأندلس" [٤٢]، ومن المحتمل أيضا كغيره من الكتب أنه قد وضع بتوصية من الحكم الثاني المستنصر الذي أبدى اهتمامه بدراسة علم الأنساب وتوثيقها والتعليق عليها.

أخبار شعراء إلبيرا:

تشغل كتب الشعراء والأدباء والفقهاء مجهولة المؤلف والتي تنتظم في طبقات حيزا مهما في حقل التراث الأندلسي، فهي تؤرخ وتوثق لذلك الجانب العلمي والفني والأدبي في كل ربوع الأندلس، أو في إقليم من أقاليمه فقط.

وأهمية هذا النوع من الكتب لا تخفى على أحد من الباحثين والمهتمين بالاطلاع على تصانيف العلماء ونتاجهم، وهذا العنوان الذي بين أيدينا – على ضياعه – خير دليل، وقد ذكره أبو محمد في رسالته في فضل الأندلس، حيث يقول: " ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الأندلس للمستنصر – رحمه الله تعالى – رأيت منها (أخبار شعراء إلبيرة في نحو عشرة أجزاء)."[٤٣]

- ✓ كتاب في الشعراء من الفقهاء في الأندلس:

إن المتصفح للتراث الشعري العربي في جناحي العلم الإسلامي الشرقي أو الغربي، إ لا وتستوقفه ظاهرة متفردة، وهي اقتران الشعر بالفقهاء، فأغلبهم كانوا يقرضون الشعر، وأقل القليل منهم لم تزرهم ملكته، وغابت عنهم سمته، وقد ظهر من الفقهاء والمشتغلين بالعلوم الشرعية شعراء فحول ومجودون، وفيهم حتى من أصحاب الدواوين الشعرية، ولا عجب فقد كان حفظ الأشعار واكتساب اللغة العربية هي المرحلة الأولى لكل متعلم، ففيهم من استهوته هذه المرحلة وطبعت بميسمها كل المراحل.

وهذا الكتاب " هو مجموعة تراجم للفقهاء الذين نظموا الشعر، وفيها نماذج من أشعارهم، وقد عرف هذا الكتاب بعنوانه فقط، الذي يورده ابن الفرضي في ترجمة أبي محمد قاسم بن نصير بن أبي الفتح، الفقيه النحوي اللغوي الشاعر وهو من سيدرنيا

---

٤٢ : المقري: نفح الطيب، ج٣، ص١٧٤./ ابن حزم: الرسائل، م١/٢/ص١٨٤.

٤٣ : المصدران السابقان على التوالي، الصفحات نفسها.

(ت٣٣٨هـ/٩٥٠م) وقد ألف هذا الكتاب بعد عام (٣٣٨هـ/٩٥٠م) وهذا هو تاريخ وفاة قاسم بن أبي الفتح الذي أدخلت أشعاره فيه."[٤٤]

✓ <u>كتاب رجال مالقة:</u>

هذا كتاب من أجل الكتب وأنفسها حسب عنوانه، وقد جمع فيه مؤلفه رجال مالقة من الفقهاء والعلماء والشعراء والأدباء والأعيان، وما يؤسفنا هو ضياعه فيما ضاع من التراث الأندلسي النفيس، حيث درس رسمه ولم يبق إلا عنوانه واسمه الذي أورده الإمام شمس الدين السخاوي (٨٣٠-٩٠٢هـ/١٤٢٧-١٤٩٧م) بقوله: " ورجال مالقة المؤلف للحكم المستنصر"[٤٥] ولكنّه لم يذكر اسم مؤلفه أو كاتبه، غير أن " فرانز روزنتال" صرح معلقا على قول السخاوي: " توفي المستنصر سنة (٣٦٦هـ/٩٩٧م) وربما كان هذا المؤلّف هو إسحاق بن سلمة القينيي، فقد ألّف كتابه (أخبار ريّة) وهي مدينة في إقليم مالقةَ، وقد وصفه الحميدي في جذوة المقتبس."[٤٦] أما إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيني الذي ترجم له الحميدي، فهو إخباري عالم، له كتاب يشتمل على أجزاء كثيرة في إخبارية من بلاد الأندلس وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها، ذكره أبو محمد علي بن أحمد."[٤٧]

والمقصود من كلام الحميدي (ذكره أبو محمد علي بن أحمد) هو ابن حزم الأندلسي وهو أستاذ الحميدي، وقد ذكره فعلا في رسالته في فضل الأندلس بقوله: " وكتاب مجزّأ في أجزاء كثيرة في أخبار رية وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها، تأليف إسحاق بن سلمة بن إسحاق القيني..."[٤٨] فهذا ما حمل روزنتال على الظن بأن مؤلف رجال مالقة هو إسحاق بن سلمة القيني، ولكن لا دليل على ذلك.

✓ <u>كتاب يتضمن أخبار تاريخية عن الأندلس:</u>

---

٤٤ : بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص١٧٩. وترجمة قاسم بن نضير عند ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص٢٨٥، ٢٨٦، ترجمة رقم (١٠٦٩).

٤٥ : شمس الدين السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنتال، ترجمة أحمد صالح العلي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، بيروت، لبنان، ص٢٦٠.

٤٦ : المصدر نفسه: هامش الصفحة نفسها.

٤٧ : جذوة المقتبس، ص١٤٩، ترجمة رقم (٣٠٩).

٤٨ : المقري: نفح الطيب، ج١، ص١٧٤./ ابن حزم: الرسائل، م١/٢/ص١٨٣.

نبه إليه المستشرق الروسي ك.بويكا من خلال بعض استنتاجاته التي توصل إليها بعد فحص تراجِم وأسانيد وإخباراِيات محمد بن الحارث الخشني القيرواني (٣٦١هـ/٩٧١م) من خلال كتابه (قضاة قرطبة).

وتتضمن هذه الفقرات أخبار الأحداث الجارية في نهاية أيام الِأمير هشام الأول (١٨٠هـ) ما بين (٧٨٨-٧٩٦م) عن الحملة العسكرية الصيفية التي جهزها المسلمون عام (١٧٩هـ/٧٩٢م) بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد والفرج بن كنانة إلى شمالي البلاد إلى غاليسيا ضد ملك أستوريا ألفونسو الثاني (Alfonso II) (١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤٢م)، وعن الأحداث التي جرت أيام حكم الأمير اللاحق الحكم الأول (ت٢٠٦هـ/٨٢٢م)، وهي المرحلة الممتدة من عام (١٩٨هـ/٨١٣م-١٤-حتى عام ٢٠٠هـ/٨١٥م -١٦)، و التي عين خلالها القائد فرج بن كنانة بأمر الحكم قاضي قضاة قرطبة[٤٩]، ثم عن أحداث الأعوام القريبة التي جرت على ما يبدو خلال العشرينات من القرن التاسع عندما كان الفرج بن كنانة حاكما مؤقتا على منطقة الحدود الشمالية للأندلس وعاصمتها كانت ساراغوس، وقضى على التمرد هناك.[٥٠]

بينما الإشارة التي اعتمدها بويكا، فقد وقعت في ترجمة القاضي الفرج بن كنانة الكناني حيث يقول الخشني:" ذكر محمد بن حفص، قال قرات في كتاب بخط أحمد بن فرج، فيه نبذ من أخبار الأندلس، ان الفرج بن كنانة غزا معقودا له على جند شذونة من الغرب، مع عبد الكريم بن عبد الواحد، إلى جليقية."[٥١]

يقول بويكا: " ولم تكن تجمع بين الشخصيات الثلاث الواردة في الإسناد الذي أورده الخشني ومحمد بن حفص وأحمد بن فرج صلات مثل صلة المعلم بتلاميذه، فكم تخبرنا معاجم التراجم التي أخذنا منها المعلومات أي شيء، فالحلقة الأولى من هذه السلسلة يمثلها شخص يدعى أحمد بن فرج، أما الحلقة الوسطى منها فيمثلها محمد بن حفص الذي كان تلميذا للشيخ بقي بن مخلد (٢٠١-٢٧٦هـ/٨١٧-٨٨٩م) ومعلّما لأحمد بن سعيد

٤٩ : الخشني: قضاة قرطبة، تحقيق ودراسة: ياسر سلامة أبو طعمة، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩، ٢٠٠٨، ص١٤٥.

٥٠ : بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص٤٥.

٥١ : الخشني: قضاة قرطبة، ص١٤٧.

المنتجيلي (٢٨٤-٣٥٠هـ/٨٩٧-٩٦١م) ومن هنا نستنتج انه عاش في القرن التاسع وبداية القرن العاشر." [٥٢]

ب- الكتب المطبوعة:

✓ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم:

يأتي في طليعة الكتب المطبوعة في هذا المضمار، كتاب (أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها) لمؤلف مجهول، وهو أشهر من نار على علم لكل دارس للتراث التاريخي الأندلسي، واكتسب هذا الكتاب شهرته لأنه صاحبه يبدو مؤرخا متمرسا يتقن هذا الفن وهذه الصناعة.

لقد كان هذا المؤلف الذي لم يعرف عصره، واحدا من المؤرخين المهرة، ومن المجودين البارعين الذين اشتهرت كتاباتهم التاريخية على نطاق واسع. فقد كان محققا مدققا، باحثا طلعة لا يكتب شيئا إلا بعد أن يستوثق منه تماما، مثل قوله: "فأخبرني من أثق به من المشيخة "[٥٣] أو قوله: " وحدثني غير واحد من المشيخة"[٥٤]

ويرى المستشرق " رينهارت دوزي" (1884- R.Dozy) أن كتاب "أخبار مجموعة" أُلّف في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.[٥٥] بينما يرى "خوليان ريبيرا" (1884- J.Ribira) أن هذا الكتاب ألف في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ودليله في ذلك هو عربية المصنف التي صنعت الحل في نظره زمن الفتنة القرطبية.[٥٦]

---

٥٢ : بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس، ص٤٥.

٥٣ : مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، مع كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩، ص١٢٢.

٥٤ : المصدر نفسه، ص١٤٠.

٥٥ : أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٦، ص٣٤٠ .

٥٦ : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بينما يرى أحد الباحثين أن هذا الكتاب كتب في عهد الخليفة الحكم المستنصر بن الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٦٦هـ/٩٧٦م).[٥٧]

وحسب محقق الكتاب فإن هذا المؤلف المجهول كان يعيش في عهد عبد الرحمن الثالث ولربما توفي في أواخر عهد الخليفة... والأرجح عندي أنه مات قبل هذا الخليفة بوقت، وذلك لسببين: أولهما أنه لم يتعرض لذكر الأحداث السياسية المهمة التي وقعت في عهده والتي كانت لها أصداء بعيدة (مثل غزواته للمغرب وقتله لابنه) مما لا يمكن لمؤرخ معاصر أن يهمل الإشارة إليه، بل قد اكتفى نبذا تافهة من الأخبار ذات الطابع الأدبي (مثل: مساجلاته الشعرية وبعض رسائله: وثانيهما: أنه لم يذكر وفاة هذا الخليفة الذي دام عهده نصف قرن، وكان أكثر عهود الدولة الأموية ازدهارا."[٥٨]

" وممـ ا يدل كذلك على أن الكاتب كان معاصرا للأحداث التي يسجلها قوله: وأخبرني من سمع عن عبد الرحمن بن معاوية، وقوله: أخبرنا محمد بن الوليد الفقيه.. وحمد بن الوليد هذا من أهل قرطبة مثل المؤلف، وتوفي سنة (٣٠٩هـ) أي أنه عاش في عصر الأمير عبد الله بن محمد وأوائل خلافة عبد الرحمن الناصر."[٥٩]

ويورد ابن الفرضي ترجمة له تحمل كثيرا من الإشارات والدلائل، يقول عنه: سمع من العتبي وغيره، ورحل مع أسلم بن عبد العزيز فسمع من يونس بن عبد الأعلى والمزني، والربيع المزني صاحب الشافعي، ومحمد بن عبد الله بن الحكم وابن عبد الرحيم البرقي ونظرائهم.. وكان للأمير عبد الله به عناية."[٦٠]

فأولى هذه الإشارات أن الفقيه الذي يروي عنه هذا المؤلف المجهول كان في زمن الأمير عبد الله بن محمد (٢٣٠هـ/٣٠٠هـ) وهو ما يحدد عصر المؤلف بشكل تقريبي.

وثاني الإشارات هي أن هذا الفقيه وفي رحلته إلى المشرق قد زار مصر وتتلمذ على كبار أعلامها في تلك الفترة، منهم محمد بن عبد الله بن الحكم (١٨٢هـ/٢٦٨هـ) الذي انتهت إليه رئاسة الأسرة والطائفة المالكية في مصر بعد وفاة والده، حيث اشتهر لدى

٥٧ : رجب محمد عبد العظيم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب اللبناني، دت، ص١٧.

٥٨ : إسماعيل العربي: مقدمة الكتابين (تاريخ افتتاح الأندلس، وأخبار مجموعة في فتح الأندلس)، ص١٤.

٥٩ : المصدر نفسه، ص١٣، ١٤.

٦٠: تاريخ علماء الأندلس، ص٣١٨، ترجمة رقم (١١٨٠).

علماء إفريقيا والمغرب والأندلس. " وإليه كانت الرحلة من المغرب والأندلس في العلم والفقه."[٦١] وهو شقيق المؤرخ المصري الكبير " عبد الرحم بن عبد الحكم (١٨٧هـ–٢٥٧هـ) صاحب كتاب (فتوح مصر وإفريقية)، والذي يعدُّ من أقدم المصادر العربية قي تاريخ فتح المسلمين لمصر وشمال إفريقية، وخاصة في الجزء الخامس منه الذي تحدث فيه عن فتح إفريقية والأندلس.[٦٢]

ولطالما كانت مصر قاعدة أساسية لفتح المغرب والأندلس، والروايات التي تناقلها الرواة هناك حول الفتح الإسلامي للأندلس من أصدق الروايات وأقدمها. فلا عجب أن يروي هذا المؤلف المجهول عن هذا الفقيه الأندلسي الذي زار مصر ودرس على أعلامها ومنهم شقيق مؤسس المدرسة التاريخية المصرية.

فرواياته من هذا الوجه من أصدق الروايات وأوثقها، ولهذا فإن كتاب (أخبار مجموعة) يعدِ " مرجعا أساسيا في تاريخ تلك الفترة الأولى، إذ أن مؤلفه قد تتبَّع أخباره من جميع مصادرها السماعية والكتابية، وتوخَّى الدقة فيها بشكل جعل لرواياته قيمة تاريخية كبيرة."[٦٣] كما يحتوي على بعض الأخبار والوقائع النادرة، فقد أبدى هذا المؤرخ المجهول" أهمية خاصة لحركة المقاومة النصرانية وللحركات المناهضة لحركة المقاومة النصرانية وللحركات المناهضة لحكام قرطبة."[٦٤]

وما يلاحظ على هذا السفر التاريخي النادر أنه عاش لحظات تاريخية هامة وحاسمة من عمر الأندلس السياسي في صعوده وانحداره، فقد شهد تكالب الطّامعين والمنتزين بالأرجاء الذين أوشكوا على زعزعة السلطة المركزية للأمويين في قرطبة.

وكما هو واضح من نبرة الكاتب في هذا الخطاب التاريخي لنصوص هذا المؤلف أنه كتبه تحت تأثير السخائم العربية ق ولهذا فإننا نلاحظ أن الكتاب يتعصب للعرب وللسيادة

---

٦١ : ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص١٥٠، وترجمته في المصدر نفسه، ص١٥٠–١٥٢، رقم (٤٣٩).

٦٢ : انظر مقدمة عبد المنعم عامر في تحقيقه لكتاب ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، الذخائر رقم (٤٩)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، دت، ص (ي، م) من المقدمة./ حسين عاصي: عبد الرحمن بن عبد الحكم وكتابه فتوح مصر وإفريقية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢، ص٨، ٩ ومايليها.

٦٣ : أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٣٩.

٦٤ : رجب محمد عبد العظيم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، ص١٧.

العربية مما يدل على أن مؤلفه عربي صميم."[٦٥] وواضح كذلك من أسلوب الكاتب أنه مثقف جدا واسع المعرفة، قد ظهر ذلك في أسلوب كتابته ونمطه التعبيري، اما الاقتباسات الشعرية والصيغ البيانية التي جود بها صفحات كتابه فهي تكشف عن ملكته الأدبية والنقدية بأجلى بيان. ونظرا لأهمية هذا الكتاب وقيمته فقد تعاور على تحقيقه عدة باحثين ودارسين عربا ومستشرقين.*

✓ <u>الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية:</u>

يعد كتاب الحلل الموشية من أشهر الكتب التاريخية الأندلسية مجهولة المؤلف، وهو فريد في مضمونه ومحتواه، تناول فيه صاحبه عصري المرابطين والموحدين بشيء من التفصيل، مع استعراض جميل وممتع لأهم الحوادث التاريخية التي وقعت في عصر بني عبد الحق أو بني مرين إلى حدود سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م). ويبدو مؤلف هذا الكتاب على قدر كبير من التدين، ظاهر ذلك من خلال ديباجة الكتاب الذي استهله بالحمد الطويل والثناء الحسن، والدعوة إلى تآلف القلوب وعدم تنافرها في العدوتين السفلى والعليا داعيا الله تعالى أن يطيل الإسلام في هذه الديار مع بقاء الإمام أو الخليفة[٦٦]، باعتباره رمز الوحدة الجامعة.

لقد استمد المؤلف مادته التاريخية من كتب أصلية معاصرة نص على أصحابها صراحة، بعضها موجود والبعض الآخر مفقود، والكتاب على وجه العموم قيم ومفيد جدا لأنه تضمن حقائق تاريخية ثابتة صححت لنا الكثير من الأخطاء التي وردت في الكتب الأخرى، حول تاريخ مدينة مراكش، وأصل تسمية المرابطين، والنظام الحربي المغربي على عهد المرابطين والموحدين.[٦٧]

---

٦٥ : أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٣٩، ٣٤٠.

* : – نشره إميليو لافونيتي (Don Emilio Lafontey Alcantara)، الأكاديمية الملكية للتاريخ، مدريد (١٨٦٧).

- نشره محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، مصر (١٩٩٤).
- حققه كذلك إبراهيم الأبياري، ونشر ضمن المكتبة الأندلسية.
- إضافة إلى تحقيق الأستاذ إسماعيل العربي، حيث نشره مع كتاب تاريخ افتتاح الأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩.

٦٦ : مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، ١٩٧٩، ص١٢، ١٣.

٦٧ : أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٧٣.

وقد أكدّ محققا الكتاب على أهميته وثقله ومكانته من ناحية المعلومات التي يقدمها والنصوص والوثائق التي يحتفظ بها، والتي استقاها مؤلفها من مصادر تعدُّ الآن في حكم المفقود، ويبدو أن مؤلف الكتاب لم يقصد به الأخبار المراكشية.. فهو في فصوله ومادة أبحاثه لم يتقيد بفن المدن وقواعده، وإنما تحدث عن تاريخ المغرب والأندلس في حقبة نشطة، فكان بذلك كتاب تاريخ عام أرَّخ لعدة دول ولم يؤرخ لمدينة مراكش.[٦٨]

وقد حاول الأستاذ المرحوم محمود علي مكي بعد بحث طويل أن يثبت نسبة هذا الكتاب إلى ابن سماك العاملي المالقي[٦٩] ، ولكن لا دليل على ذلك.

✓ <u>مجهول: أخبار حول ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس:</u>

هو ذيل مشتمل على بعض أوراق من تاريخ مبتور الأول والآخر ومجهول الاسم والمؤلف في أخبار دول ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس. نشر ذيلا على الجزء الثالث من كتاب ابن عذاري المراكشي (ت بعد ٧١٢هـ) "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"[٧٠]

وقد قال عنه محقق الكتاب: " وأضفنا لتأليف ابن عذاري ذيلا مشتملا على أوراق من تأريخ عديم الرأس والعقب، مجهول الاسم و الصاحب في أخبار بعض ملوك الطوائف بالأندلس والمغرب، مكّننا منه صديقنا المؤرخ السيد أبو عبد الله محمد بن علي الدكالي السلاوي، وتممنا بها الكتاب لما فيها من حسن الفائدة والاستيعاب والله الموفق."[٧١]

أما عن الكتاب فهو قطعة نفيسة من تاريخ الأندلس تقع في نحو سبع وعشرين صفحة، مفصلة لأحوال الأندلس السياسية في القرن الخامس، والتدهور الحاصل عقب اندثار عقد الوحدة السياسية بسقوط الدولة الأموية وظهور ما يسمى بعصر ملوك الطوائف،

---

٦٨ : انظر مقدمة المحققين، ص٤.

٦٩ : انظر فهرسة محمد علي مكي في تحقيقه للسفر الثالث من كتاب المقتبس لابن حيان، ص٥١٧.

وقد نسبه من قبل المؤرخ المغربي أبو الربيع سليمان الحوات الذي عاش في القرن الثالث عشر للهجرة إلى أبي العلاء بن سماك الغرناطي./ ينظر مقدمة المحققين، ص٩، وهامش ص٣٧٢ من كتاب (في تاريخ المغرب والأندلس) لأحمد مختار العبادي، وللمؤلف نفسه مقال بعنوان (دراسة في كتاب الحلل الموشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين)، مجلة تطوان، العدد الخامس ، ١٩٦٠.

٧٠ : تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان، و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص٢٨٧-٣١٤.

٧١ : المصدر نفسه، مقدمة الجزء الثالث.

وكان من سوء حظ هذه الدرة التاريخية الجليلة أن حل بها ما حل بالممالك الأندلسية التي أرخت لها، حيث كانت مبتورة الأول والآخر مجهولة المصنّف.

وقد أرخ كاتبها في قطعتين لعديد أسر ملوك الطوائف وأسمائهم وأنسابهم وكناهم، وأهم الأحداث المتعلقة بهم وما دار بينهم. فقد قصر القطعة الأولى على دولة بني حمود[٧٢] والثانية على سائر ملوك الطوائف ابتداء من دولة بني خزرون[٧٣] ختاما بذكر (دولة بني عباد ملوك إشبيلية وغيرها ونسبهم وابتداء أمرهم وسيرتهم وجملة كافية من أخبارهم).[٧٤]

- ✓ <u>مفاخر البربر:</u>

يعدُّ كتاب مفاخر البربر من الأمهات التاريخية مجهولة المؤلف، المعينة على البحث في تاريخ الأندلس والمغرب عموما في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين. والكتاب يقدم صورة شاملة للأحداث السياسية والوقائع التاريخية للمغرب الإسلامي بشكل عام في الحقبة المذكورة آنفا ويختص بذكر قبيلتي زناتة وصنهاجة العريقتين. ويأتي هذا الكتاب في طليعة المصادر التي تحدثت عن تاريخ البربر في منطقة المغرب، حيث عرف المؤلف بهم وذكر أصولهم وأنسابهم وقبائلهم وتواريخهم، " كما يعد المحاولة الأولى – حسب علمنا- لكتابة تاريخ الشعوب بعدما تركزت جل الدراسات السابقة على تاريخ الأسر الحاكمة."[٧٥]

وينفرد كتاب (مفاخر البربر) الذي نشره المستشرق الفرنسي" ليفي بروفنسال" (Lévi-Provençal) لأول مرة في رباط الفتح عام (١٣٢٥هـ/١٩٣٤م) بذكر بيوتات البربر التي أهملت عند الإمام ابن حزم الظاهري في (جمهرة أنساب العرب) مثل قبيلة محمد بن خير بن خزر المغراوي الذي كان رأس زناتة بالأندلس في فتنة البربر الشهيرة إلى حدود أربعمائة للهجرة.[٧٦]

---

٧٢ : مجهول: أخبار حول ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس، ص٢٨٩-٢٩٢.

٧٣ : المصدر نفسه، ص٢٩٤.

٧٤ : المصدر نفسه، ص٣١٤.

٧٥ : انظر كلام عبد القادر بوباية في تحقيقه لكتاب مفاخر البربر، دار أبي رقراق، الرابط، المغرب، ط١، ٢٠٠٥، ص١٥.

٧٦ : المصدر نفسه، ص١٠ (محمد العلمي الوالي في تصديره للكتاب).

ويهيب الأستاذ محمد العلمي الوالي بقيمة الكتاب التاريخية والتوثيقية، من حيث إن المعلومات التي يتضمنها ما بين القرن الرابع وبداية القرن الثامن الهجريين والتي لم يتعرض لها المؤرخون السابقون على صاحب المفاخر.[٧٧]

والكتاب في عمومه وثيقة نادرة بما حمله لنا من معلومات وحقائق تتصل بهذا العنصر العريق والمتجذر في شمال إفريقية والأندلس ومختلف إسهاماته في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية.

وعلى هدي من هذه الاعتبارات أسهب صاحب المفاخر في ترجمة اثنين وسبعين رجلا لعلماء وفقهاء ومحدثين وأعلام المتصوفة، وذكر القادة السياسيين والعسكريين، وعناصر أخرى من المجتمع البربري مثل الزهاد والنُساك والصلحاء. ولا ريب في أن هذا الكتاب موجه من رجل ومؤرخ بربري مسلم وأصيل أراد التذكير بأهمية هذا العنصر وبصماته الحضارية والثقافية والتاريخية على مسرح الحياة العربية والإسلامية.

✓ <u>الاستبصار في عجائب الأمصار:</u>

هذا الكتاب شهير من حيث عنوانه، مجهول من حيث مؤلفه، يعتقد أن كاتبه مراكشي من رجال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، حسب الأستاذ سعد زغلول عبد الحميد محقق هذا الكتاب.

وقد عرفت المكتبة العربية هذا الكتاب قبل مائة عام تقريبا من طبعة محققه سعد زغلول، وذلك حينما نشر المستشرق النمساوي "ألفرد فون كريمر" (Alfred Von Kremer) الجزء الخامس منه بالمغرب نقلا عن مخطوط ناقص كان بحوزته.[٧٨] وبعد نشرته هذه قام المستشرق الفرنسي " إدموند فاينان" (Edmond Fagnan) (١٩٣١-١٨٤٦) المتوفي بالجزائر والأستاذ المحاضر بمدرسة الآداب العليا بنقل هذا النص إلى اللغة الفرنسية (قسم إفريقية الشمالية في كتاب الاستبصار)

(L'Afrique septentrionale au xiie siècle de notre ère, Discription extraite du « Kitab AL-Istibçar » 1900)

---

٧٧ : عبد القادر بوباية في تحقيقه لكتاب مفاخر البربر ، ص١٢.

٧٨ : انظر مقدمة المحقق سعد زغلول عبد الحميد لكتاب: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة، – آفاق عربية- بغداد، دت، ص:أ.

لكن نشرة فانيان كانت مصحوبة بهوامش وتعليقات.[٧٩]

ولم يترك صاحب الاستبصار ما يشير إليه في صفحات كتابه سوى ما صنعه من مصطلحات مثل: (المؤلف، الناظر، الواضع)، وكل هذه المصطلحات تشير إلى معنى صاحب الكتاب أو التأليف.[٨٠] وجل ما نعلمه عنه، نحن مدينون فيه لابن أبي زرع (النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي) صاحب كتاب (الأنيس المطرب بروض القرطاس) الذي يذكر عنوان الكتاب، وعداه لم يشر أحد إليه.

وعنوان الكتاب الكامل هو (الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة ومصر وبلاد المغرب)، وهو المنزع الذي يدعونا إلى جعله ضمن كتب الجغرافية العامة، لكن نظرة فاحصة للكتاب نجده " مصدرا لمعلومات متنوعة الألوان من جغرافية وتاريخية وأثرية."[٨١] وتطغى الروح الأدبية في شقها العجائبي على مادة الكتاب وتمتزج الحقائق بالأساطير في كثير من مواد الكتاب التاريخية ومساحاته.

ومن هنا نستطيع جعل مواد الكتاب التاريخية على مراتب تختلف " في طبيعتها وفي قيمتها، كالقصص القديمة المنقولة عن كتب معروفة أو مفقودة، وهي من طبقة الأساطير ذات القيمة الأدبية فقط، ومثل الوثائق التاريخية المعاصرة ذات الأهمية البالغة."[٨٢]

وقد حرص المؤلف على رسم معالم منهجه العام في كتابه فقال في مقدمته:" وقديما وضع الناس تواريخ ورتبوها، ودونوا الأخبار وكونوها، حرصا منهم على نظم فرائدها وتقييد شواردها، ومازال واضعوها يتقلبون بين إكثار وإقلال وإسهاب واختصار. وكلهم يجري على طريقه إلى غاية يضيفها ويسطرها، وكثيرا ما خلّد حزم العقلاء ملوك أزمنتهم بالتواريخ المؤلفة والتواريخ المزخرفة تفننا لمسراتهم وترضيا لمبراتهم، ولو لا ذلك لم يحصل الآخر على علم الأول.[٨٣]

إن المتمعن لفحوى الخطاب المتضمن هذه الكلمات المفتاحية يدرك مدى ارتباط المؤرخين عموما بدوائر السلطة السياسية التي تُنتج عن طريق هؤلاء تاريخا رسميا، ويكون

---

٧٩ : عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٣، ص٣٨٧.

٨٠ : مقدمة المحقق: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ص: ت.

٨١ : مقدمة المحقق: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص: د.

٨٢ : المصدر نفسه، ص٨.

٨٣ : المصدر نفسه، ص٢.

ذلك غما بتخليد ملوكهم وحكّام أزمنتهم بالتواريخ الموشية وغيرها طلبا لمرضاة ملوكهم وسلاطينهم، فكأن علم التاريخ هنا قد أصبح وسيلة لغاية معينة.

ولكن الأخطر من هذا هو جنوح المحقق وبعد لأي شديد في البحث والتقلب بين صفحات الكتاب وتقاسيمه إلى رأي نقبله على استحياء متحفظين مما جنح إليه وهو أن هذا " الناظر قد لجأ إلى كتاب قديم نجهل صاحبه، فوضع له المقدمة ورتب فيها منهجه (من وصف الأماكن المقدسة ومصر وبلاد المغرب) وقد نقّح الأصل وحقّقه وأضاف إليه، ثم ختمه، وهو يعد بإخراج كتاب خاص بتاريخ المغرب إلى أيامه."[٨٤] ونتيجة لأن المؤلف قد اطلع على بعض الرسائل الرسمية الصادرة من الديوان الموحدي، فقد افترض المحقق أن الناظر كان يشغل وظيفة لدى يعقوب المنصور كانت تمكنه من الاطلاع على مجرى الأمور في ديوان الخليفة أو في بلاطه.[٨٥] وهو نتيجة لذلك –أي المؤلف– قد عاش على عهد يعقوب الموحدي.[٨٦]

وقد صنع كتاب الاستبصار جدلا حول حقيقة مؤلفه واسمه وكنيته وأجمعت مختلف الآراء بعد تحقيق وتمحيص بأن مؤلفه أندلسي مجهول . وقد حاول بعضهم مجتهدا أن يعين اسم هذا المؤلف المجهول. مثل الأستاذ المحقق محمد بن شريفة الذي قال:" ويدفعنا إلى هذا الظن أننا وجدنا صاحب كتاب الاستبصار، وهو ابن عبد ربه فيما نفترض ."[٨٧]

والمقصود بابن عبد ربه في نص الأستاذ ليس صاحب العقد وإنما هو الحفيد محمد بن علي بن محمد بن عبد ربه، كنّاه بعضهم أبا عبد الله وكنّاه آخرون أبا عمرو وهو أحد مشاهير العلم والثقافة والأدب في الأندلس في القرن السادس الهجري. وقد عقد فصلا موسما حول هذه القضية في كتابه (ابن عبد ربه الحفيد– فصول من سيرة منسية)[٨٨] وساق جملة من آراء الباحثين المحققين والعارفين بالتراث الأندلسي واجتهاداتهم، حتى إن بعضهم مثل الأستاذين الفاسي ومحمد المنوني قد رجحا أنه شخصية مغربية. وزاد المرحوم

---

٨٤ : المصدر نفسه، ص: ت.

٨٥ : مقدمة المحقق: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص:ت.

٨٦ : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٨٧ : ابن عبد ربه الحفيد، فصول من سيرة منسية، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٨

٨٨ : المصدر نفسه، ص١٥٩ وما بعدها.

المنوني أنه من أعلام وحفاظ الموحدين.[89] وقد حاول العلامة بن شريفة نفسه إبطال رأي الأستاذين، معتقدا أن ليس هناك دليلا واضحا على مغربيته[90]. بل إنه رجح استنادا إلى بعض الدلائل التي يقوي بعضها بعضا استنتجها من ثنايا الكتاب "أندلسية الرجل".[91]

كما فنّد رأي محقق الكتاب الأستاذ سعد زغلول عبد الحميد، الذي كتب على صفحة الغلاف الأولى بعد العنوان (لكاتب مراكشي من كتّاب القرن السادس الهجري)[92] بل ذهب محقق الكتاب إلى أبعد من ذلك حينما نسب الكتاب إلى عالم جزائري كبير هو ابن محشرة البجائي، أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم (٥٤١هـ/٥٩٨هـ-١١٤٦م/١٢٠١م). وقد عرف ابن محشرة* هذا بخدمة بلاط الموحدين وكان أحد كتّابهم وأعلامهم.

وقد نطمئن بعض الشيء – غير قاطعين- إلى هذا الرأي مشفوعين في ذلك بدقة الوصف التي خلعها المؤلف على كثير من المدن والحواضر الجزائرية وجغرافيتها وتضاريسها، والتي تعبر عن معرفة واسعة للرجل بحواضر المغرب الأوسط، ورغم أنه يستفيض في وصف حاضرة بجاية إلا أنه لا يذكر ما يؤكد نسبته إليها. هذا ما جعل المرحوم بن شريفة ينفي نسبة الكتاب إلى بن محشرة البجائي، ويقرُّ بأندلسية صاحبه، بل يقطع في نسبة كتاب الاستبصار إلى ابن عبد ربه الحفيد دون حجة قاطعة أو دليل يستند إليه، رغم أنه هو نفسه قد أكّد في أكثر من موضع بأن مؤلف الكتاب مجهول المؤلف.[93]

✓ <u>ترجمة لعبد الرحمن الناصر:</u>

وهو قطعة تاريخية مجهولة المؤلف في تاريخ الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) وتتناول سنوات من تاريخ الأندلس في عهده، من سنة (٣٠٠ هـ-

---

٨٩ : المصدر نفسه، ص١٦٢.

٩٠ : المصدر نفسه، ص١٦٣.

٩١ : المصدر نفسه، ص١٦٤

٩٢ : المصدر نفسه، ص١٦٥.

*: ترجمته عند أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤م، السفر الثامن، القسم الثاني، ص٥٥٢، ترجمة رقم(٨٥)

٩٣ : ابن عبد ربه الحفيد، فصول من سيرة منسية، ص١٦٢.

٣١٧هـ/٩١٢-٩٢٩م) وقد حققها ونشرها وقام بدراستها الأستاذ ليفي بروفنسال (Lévi-Provençal) والمستشرق الإسباني الكبير الأستاذ إميليو غرسيه غومس (Emilio García Gómez) مع ترجمة إلى اللغة الإسبانية تحت عنوان: (Una Cronica Anonima De Abd Al-Rahman III , Al-Nasir) ونشر في مدريد- غرناطة عام ١٩٥٠.

✓ (تاريخ الأندلس) أو (ذكر بلاد الأندلس)

نشره المستشرق الإسباني لويس مولينا ترجمة وتحقيقا باسم (ذكر بلاد الأندلس)[٩٤] بينما العنوان الكامل حسب المحقق الجزائري عبد القادر بوباية هو (تاريخ الأندلس)[٩٥]، أما حجة مولينا في هذه التسمية هو أنه قد اعتمد نسختين مبتورتين تبدآن باسم (ذكر بلاد الأندلس) وهي العبارة التي افتتح بها المؤلف المجهول كتابه. ولكن النسخة الكاملة التي اعتمدها الأستاذ بوباية معزّزة للنسختين السالفتين فهي تحمل مرات عديدة عبارة (تاريخ الأندلس).[٩٦] **

ويحتوي هذا الكتاب القيم معلومات هائلة تاريخية وجغرافية، ومن عادة الأندلسيين أن يصدروا كتبهم التاريخية بمقدمات جغرافية، وقد كان دأب صاحب هذا التأليف السير على هداهم وترسم خطاهم حينما قسمه إلى قسمين:

الأول: يتحدث عن جغرافية الأندلس واصفا مدنها واحدة بعد أخرى.

الثاني: تاريخ الأندلس إلى عام (٧١٧هـ/١٣٠٧م) أي وفاة محمد المخلوع، وهو عم الأمير محمد بن محمد بن يوسف بن نصر.[٩٧]

---

٩٤ : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣.

٩٥ : مؤلف مجهول: تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧ (ويقع الكتاب في ٢٨٨ صفحة)

٩٦ : المصدر نفسه، ص٩.

**:اعتمد المستشرق الإسباني لويس مولينا على النسختين المبتورتين الموجودتين على التوالي (نسخة المكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم ٨٥ج) و(نسخة الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم ٥٥٨) بينما اعتمد المحقق الجزائري عبد القادر بوباية على النسخة الكاملة بالخزانة الحسنية بالرباط والتي تحمل الرقم (١٥٢٨).

٩٧ : مجهول: تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية ، ص١١.

ويرجح لويس مولينا اعتمادا على بعض الإشارات أن مؤلفه من رجال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، أو النصف الأول من القرن التاسع، بينما يرى الأستاذ بوباية في تحقيقه أن يكون المؤلف قد كتب كتابه في الفترة بين سنة (٨٩٥هـ) إلى تاريخ سقوط غرناطة.[٩٨]

وقد أكثر المقري التلمساني في نفح الطيب من الاقتباس من هذا الكتاب دون أن يشير إلى اسمه، وهذا ما يجعلنا نعتقد بنفاسة هذا السفر الجليل وقيمته.

✓ أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر:

يكتسي هذا الكتاب قيمة مثلى غير متنازع عليها في الحديث عن المرحلة الأخيرة من عمر دولة بني نصر أو بني الأحمر في احتضارها السياسي في الأندلس، فقد بقي متنه دليلا شاهدا على ذلك السَّوق الأخير الذي عاشته الدولة النصرية في شبه الجزيرة الأيبيرية. فالأحداث التي يصفها هذا المؤرخ المجهول، والوقائع التي كتب عنها تدل على أنه عاش تفاصيلها وكان شاهدا عليها، وقد قيل: ليس الخبر كالعيان.

وكان الأمير شكيب أرسلان (١٨٦٩-١٩٤٦) قد نشر هذا الكتاب بعنوانه الكامل ذيلا على ترجمته لقصة الأديب الفرنسي "شاتو بريان" (Chateaubriand) (1768-1848) (مغامرات آخر بني سراج) ووصله بهذا العنوان (أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر) حتى يكتمل المشهدان السياسي والأدبي في ذهن القارئ، كما أنه صنع لهما فهارس دون أن يشير إلى شيء، سوى ما ذكره في مقدمة الكتاب: " ووصلتها بذيل من أخبار الأندلس اللازمة للقصة الزائدة في طلاوتها، المساعدة في فهمها وتسوغ حلاوتها، فجاء فيها من لطف الحقيقة ما لا يقصر عن لطف الخيال."[٩٩] وصفحات هذا الكتاب في طبعة الأمير أرسلان من (٩٣ إلى ١٣٣).

ولكن النشرية الأولى لهذا الكتاب كانت بعنـاية المستشرق الألمـاني "مولر ماركس يوسف" (Marcus Joseph Müller) (1809-1874) بعنوان (الأزمنة الأخيرة لغرناطة)[١٠٠] مع ترجمة ألمانية، وكان ذلك في ميونيخ عام (١٨٦٣) كما ذكر ألفريد

---

٩٨ : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٩٩ : شكيب أرسلان: الإسلام في الأندلس – آخر بني سراج، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ص٦.

١٠٠ : عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٥٦٧.

البستاني محقق هذا الكتاب في تصديره له [١٠١]، لكن المحقق البستاني قد نبه إلى أغلاط المستشرق الألماني مولر الذي جمع في نشرته كثيرا من الحوادث التاريخية التي تتعلق بأواخر عهد العرب في غرناطة وأضاف إليها أكثر فصول هذه المخطوطة وجعل العنوان كما أخذه (كتاب أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر)، غير أن طبعة مولر هذه لم تكن موفقة، ففيها كثير من التصحيف والتحريف والأغلاط وعدم التنسيق، كما أنه أهمل أهم فصول المخطوطة وهو نزوح الأندلسيين إلى المغرب، ولعل ذلك بتر في أصل المخطوطة التي اعتمد عليها.[١٠٢]

وقد أخفى هذا المؤلف اسمه من على صفحات كتابه، وظاهر من قوله أنه قد عاش الأسى في هذه الفترة التعيسة من عمر الوجود العربي والإسلامي هناك، ولهذا فقد انطلق مسلّما بالقضاء والقدر في رأس تاريخه قائلا: " نحمده سبحانه وتعالى في كل حال..." [١٠٣]

أما الحوادث المغطاة في تأريخ هذا المؤلف المجهول فقد حددها بنفسه في مقدمة كتابه بقوله: " فهذا كتاب أذكر فيه نبذة من بعض تواريخ ما وقع في مدة الأمير أبي الحسن ابن الملوك النصريين، ومدة ملك ابنه محمد وأخيه محمد أيضا رحمهما الله، وكيف استولى العدو على جميع بلاد الأندلس في تلك المدة."[١٠٤] ولأن الأسى قد بلغ مبلغه من شاهد عايش النكسة، فإن المقام هنا ليس مقام تطويل، فهو يحدد منهجه العام في بداية مدونته مصرحا: "... وعولت في ذلك على الاختصار والاقتصار وترك التطويل والإكثار لأن باعي في التأليف قصير وبضاعتي في الفصاحة مزجاة وسميته (نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر)"[١٠٥] ، فهو يصرح بسبب آخر وهو أنه قد التجأ إلى الاختصار والبعد عن التطويل بسبب عدم الاختصاص، رغم أن الناظر بتؤدة إلى صفحات الكتاب وفصوله يدرك قيمة وأسلوب الرجل الرفيعين وأنه قد تلقّى تعليما رصينا، رغم بعض الاضطرابات الحاصلة في أسلوبه،

١٠١ : مجهول: كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، ضبطه وعلّق عليه: ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٥.

١٠٢ : مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (طبعة البستاني) ، ص١٧.

١٠٣ : المصدر نفسه، ص١.

١٠٤ : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

١٠٥ : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وذلك راجع -ربما- إلى حساسية الفترة التي كتب فيها هذه الصفحات، فالعجلة وعدم تنقيح ما كتب أهم ما يطبع هذا السفر التاريخي المهم.

ويعتقد محقق الكتاب أن كاتب هذا التاريخ "رجل حربي حضر المواقع وخاض غمراتها وراقب الحوادث والانقلابات وما أعقبها من أحداث ومفاجآت، وشاهد انهيار تلك الحصون والأبراج وكان قد اشترك في الدفاع عنها."[١٠٦] ولذلك فإن قيمة ما كتبه في هذه الورقات تكتسي أهمية بالغة في عالم التاريخ الأندلسي بالنسبة للدولة النصرية خاصة، وعليه فإن مدونة (نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر) هو فريدة من الفرائد التي تزين جيد المؤلفات التاريخية المجهولة في التراث الأندلسي.

✓ <u>يحيى؟ جامع الرسائل التقاديم:</u>

تعد الرسائل التاريخية من الوثائق المهمة التي تعين المؤرخ والباحث على التأريخ والتدوين والتوثيق، وتزداد قيمتها في العلو إذا كانت صادرة من الديوان الملكي أو السلطاني أو الأميري، والتي تسمى عادة (الرسائل الديوانية).

"ويندرج في دائرتها الظهائر والبيعات والعهود والتقاديم وغيرها من الوثائق الرسمية"[١٠٧] ، ولقد حزّ في نفس المستشرق الفرنسي بروفنسال في تقديمه لهذه الرسائل أن هناك من يستصغر قيمتها من الوجهتين التاريخية والأدبية، بينما الأمر عكس ذلك لكل باحث ناقد، " لأنها تعرض بيانا منظما لأهم الحوادث التي وقعت في أيام الموحدين من تدابير سياسية وإصلاحات اجتماعية وغزوات وانتصارات حربية." [١٠٨]

كما أن هذه التقاديم (رسائل التعيينات) تمتدُّ من عهد المأمون إلى عهد المرتضى، كما يذكر محققها الباحث أحمد عزاوي، والذي يقول: " ويسمى جامعها باسم: يحيى. وكنا نظنّ أنه قد يكون أبا يحيى الفزاري نقيب الطلبة وصاحب القلم الأعلى في عهد الرشيد والمعتضد، وهو أخو الكاتب الشهير أبي زيد يحيى الفزاري كاتب المأمون، إلى أن تبين أن

---

١٠٦ : المصدر نفسه، ص١٧.

١٠٧ : محمد بنشريفة في تقديمه لرسائل موحدية، مجموعة جديدة، تحقيق ودراسة: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب، ط١، ١٩٩٥م، ج١، ص٥.

١٠٨ : مجموعة رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية. اعتنى بإصدارها: ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٤١، ص: (ب) من المقدمة.

أبا زكريا هذا توفي في أول حركة المعتضد نحو تلمسان في أيام عيد الأضحى في سنة (٦٤٥ هـ)، بينما تمتدُّ هذه التقاديم إلى زمن المرتضى، وبهذا يظل كاتب التقاديم وجامعها مجهولين"[١٠٩].

ويشير الباحث أحمد عزاوي محقق هذه الرسائل أن بعضها فقط (رسائل التقاديم أو التعيينات)* هو القسم مجهول المؤلف؛ أما باقيها فمعلوم، حيث إن جامع هذه الرسائل يسمى باسم يحيى في مثل هذه العبارة: " قال يحيى وفقه الله، وهو خاص بتقاديم الولاة والعمال والقادة ونظار الجباية.. وتقاديم القضاة. كما أنه مبتور البداية ومبتور النهاية على الخصوص حيث تنقصه الظهائر حسب بعض إشاراته.. ومن حيث الأحداث التاريخية تلمح هذه التقاديم إلى الفوضى السائدة في البلاد وقطع الطرق خلال فترة ضعف السلطة المركزية للدولة الموحدية"[١١٠].

هذا وإن كانت هذه الرسائل من حيث حجمها هي رسائل من النوع المتوسط في معظمها مقارنة مع بقية رسائل العصر الموحدي[١١١]، فإن محققها يعترف بصعوبة التوصل إلى منشئيها رغم تعددهم، ورغم استقصاء عديد كتب التراجم والطبقات، ولكن الأمر آل إلى نتيجة غير حاسمة[١١٢]. وتكشف هذه الرسائل من خلال نصوصها على كثير من الجوانب الحضارية في عصر الموحدين؛ مثل تلك الجوانب التنظيمية في إدارة دولة بني عبد المؤمن، من خلال الرسائل الموجهة إلى الولاة وعمال المقاطعات، وكذا خطة القضاء ونظام سيره في هذه الدولة.

كما تفيد من ناحية أخرى في الكشف عن الجانب المذهبي والفكري للدولة الموحدية من خلال النصائح المقدمة والتوصيات لهؤلاء المعيَّنين، ناهيك عن أن هذه الرسائل تبين بجلاء النُظُم الاقتصادية في تلك الفترة من حيث الجباية وطرق جمعها وتحصيلها وقيمتها.

---

١٠٩ : أحمد عزاوي: مقدمة رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج١، ص٣٦.

* : عدد هذه الرسائل سبعة وسبعون رسالة: رسائل موحدية: ج١، ص٤٠٩ – ٥١٧.

١١٠ : أحمد عزاوي: مقدمة رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج١، ص١٥.

١١١ : المصدر نفسه: ج٢، ص: ١٥٦.

١١٢ : المصدر نفسه: ج١، ص١٨.

✓ **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس على عهد الموحدين:**

يختلف هذا الكتاب في شكله ومضمونه عما سقناه من أمثلة في هذا البحث، لكنه يتقاطع معها في شقين: الأول: كونه مجهول المؤلف، والثاني: كونه متعلقا بالتراث الأندلسي والمغربي عموما.

ويكشف هذا الكتاب الذي نشره المستشرق الإسباني أمبروزيو أويثي ميراندا في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد[١١٣] عن ثقافة مطبخية ذات أصول حضارية وعلمية، ويقدم للقارئ معلومات وافية عن فن الطبيخ وأدبياته وأنواع الأغذية وفوائدها. ويبدو أن المؤلف كان على علاقة مباشرة بأمراء وملوك الدولة الموحدية بالأندلس والمغرب، وعلى اتصال بفقهاء وعلماء عصره، يستمد منهم المعلومات المتعلقة بفوائد الأغذية؛ كما يؤكده محقق الكتاب عبد الغني أبو العزم.*

✓ **الأندلس وما فيه من البلاد:**

هذا الكتاب هو حلقات المؤلفات المجهولة المؤلف في التراث التاريخي والجغرافي الأندلسي، فقد كتب في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وبالتالي فهو حديث عهد مقارنة بالمؤلفات الأخرى التي ذكرناها في هذا المجال.

ولعل مؤلفه قد اتبع نهج المؤلفين المجهولين في التراث الأندلسي حيث صار صنيعهم ضربا من التقاليد الفنية والتأليفية الثابتة والتي لا محيد عنها. والكتاب ينتمي إلى قسم الجغرافية العامة، لكنه حوى معلومات في غاية الأهمية غن تاريخ كل مدينة أندلسية. غير أن هناك محقق آخر للكتاب يرى أن هذا المخطوط قد نسخ في القرن التاسع الهجري

---

١١٣ : المجلد: ٩- ١٠، عام (١٩٦١-١٩٦٢)، وقد أنجز ميراندا دراسة هذا المخطوط تحت عنوان: الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين في المجلد الخامس (ص١٣٧-١٥٥) في القسم الإفرنجي، وقام بترجمته إلى اللغة الإسبانية، ثم نشر فيما بعد النص الكامل في المجلد التاسع والعاشر من الصحيفة المذكورة آنفا. أما المخطوط الأصل فكان في ملك المستشرق بروفنسال، وهو في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم: (٧٠٠٩).

* : وحسب المحقق فإن هذا المخطوط هو لمؤلف مجهول يعود إلى القرن السابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ويقع في (٣٤٧ صفحة). ويضم كتابين: الأول: هو كتاب: (أنواع الصيدلة في الألوان والأطعمة) لمؤلف مجهول، والثاني: (كتاب الطبيخ) لإبراهيم بن المهدي/ يراجع: عبد الغني أبو العزم في تقديمه لكتاب مجهول: الطبيخ في المغرب والأندلس على عهد الموحدين، منشورات مركز الأندلس وحوار الحضارات، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ٢٠٠٣.

بناء على بعض الملاحظات والاستنتاجات التي توصل إليها.[١١٤] بينما نحن نميل إلى الاستنتاجات التي أفاد بها المحقق خليل خلف الجبوري في كون المدونة قد كتبت في القرن الثالث الهجري.[١١٥]

وتكمن قيمة الكتاب في أنه قد جمع أغلب المعلومات عن مدن الأندلس وجغرافيتها الموجودة في كتابي: معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ومراصد الاطّلاع للبغدادي (٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، وبشكل مختصر لتسهيل تقديم المعلومة عن بلاد الأندلس وما تحويه من مدن وقرى وحصون إلى الباحثين، فقد أحصى صاحب المخطوط ما لا يقل عن مائة وتسعة وسبعين مدينة وقرية وحصن، وما فيها من ثروات وما اشتهرت به من زراعة وصناعة."[١١٦]

✓ <u>العذارى المائسات في الأزجال والموشحات:</u>

إذا كان الطابع التاريخي وقليل معه الجغرافي هو الغالب على التراث الأندلسي المطبوع مجهول المؤلف، فإننا أردنا بهذه التحفة الأدبية المنتقاة بعناية فائقة أن تكون تتويجا لمسار المطبوع من هذه المؤلفات ومسك الختام، فقد تقاطعت هذه المدونة مع الموضوع في كونها منتخبات مجهولة المؤلف ومن التراث الأندلسي.

وتأريخ الآداب وذكر أعلامها وأدبائها وشعرائها لمن قبيل تواريخ الآداب القومية التي تتقاطع مع التاريخ العام، ويساير التاريخ الحضاري التاريخ السياسي كشأن هذا العنوان الماثل بين أيدينا.

ونحن ندين بالفضل لصحفي لبناني سيء الحظ يسمى فيليب قعدان الخازن (١٨٦٥م-١٩١٦م) الذي كان له الباع الوافر واليد الطولى في انتخاب هذه المجموعة المتميزة عندما سافر إلى روما الإيطالية عام (١٩٠٠) فوقع بدير القديس أنطونيوس

---

١١٤ : مجهول: الأندلس وما فيها من بلاد، تحقيق: خالد حسن الجبالي، دار البشير، الأردن، ٢٠٠٤، ص٧.

١١٥ : مجهول: الأندلس وما فيها من بلاد، تحقيق: خليل خلف الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٩.

١١٦ : المصدر نفسه، ص٧.

للرهبانية الحلبية على مخطوط بالحرف المغربي على نسخة مجهولة المؤلف انتخب منها هذه اللطائف.[117]

وتضم هذه المجموعة تسعا وتسعين موشحة لمؤلفين مغاربة ومشارقة، ولم يحدد واضع هذه المجموعة أسماء كثير من أصحابها، إضافة إلى ذلك الاضطراب الحاصل في نسبة بعض هذه القصائد إلى غير أصحابها، وكان حظ الموشحات الأندلسية والمغربية، اثين وثلاثين موشحة، وهذه الموشحات المنتقاة تغطي حقبة خمسة قرون كاملة.[118]

ج- الكتب المخطوطة:

لم يتيسر لنا الأمر للاطلاع الكافي على الكتب المخطوطة مجهولة المؤلف في التراث التاريخي والجغرافي الأندلسي، وجل ما لدينا من عناوين معدودة هي محصلة لاجتهاد المقل، لأن الموضوع أكبر من هذه الصفحات، ولكننا سنذكر طائفة من هذه العناوين على يسرها.

✓ ذكر مشاهير أهل فاس في القديم:

- مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم (د.١٣٩٤) يتضمن صفحات لمؤلف أندلسي مجهول- ورقة (٢١).
- ينظر: فهرسة الأستاذ: احمد الطاهري: عامة قرطبة في عصر الخلافة (دراسة في التاريخ الاجتماعي)، منشورات عكاظ، الرباط، ص٢٥٨، وكذا هامش ص٤٦.

✓ تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين والأندلسيين:

- مخطوط – دار الكتب رقم (٤٤١٩ ح)

✓ جغرافية الأندلس وتاريخه:

- ذكره حسين مؤنس في كتابه (تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس)، حيث يقول: " هذا مخطوط محير محفوظ في الخزانة العامة في رباط الفتح... ولكننا لم نستطع رغم المطالعة المتصلة أن نصل إلى مؤلفه، ثم إننا تحرينا في عصر المؤلف وأصله، فإن الإشارات التاريخية الواردة في صلب مواد القسم الجغرافي لا تتخطى

١١٧ : مجهول: العذارى الـ مائسات في الأزجال والموشحات، انتقاها فيليب قعدان الخازن، دراسة وتحقيق زكريا عناني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ص٩.

١١٨ : المصدر نفسه، ص١٠.

عصر الخلافة، وقسمه التاريخي كذلك يقف عند خلافة هشام المعبد آخر خلفاء بني أمية في الأندلس."[١١٩]

- وحسب الأستاذ مؤنس فإن الكتاب ينقسم إلى قسمين منفصلين، قسم جغرافي وآخر تاريخي، وأن معتمده في قسمه التاريخي على الرازي المؤلف التاريخي الشهير (٣٢٦هـ/٩٣٨ م) ومادة وافرة جدا من كلام ابن الفرضي وابن حيان والعذري وابن بشكوال."[١٢٠]

٧- <u>شخصية المؤرخ " المجهول " من خلال هذه المدونات:</u>

بعد تفحص واستقصاء لكل ما وقع بين أيدينا من هذه الأعلاق النفسية من المدونات التاريخية وما وصل إلينا من صنيع هؤلاء المجهولين تبين لنا مركز هؤلاء الكتبة من علم التاريخ في الأندلس واتضحت لنا ملامح شخصيتهم وهم كالآتي:

١- المؤرخ الباهر الحاذق بصناعته والمتخصص في هذا الفن الذي يسرد الحوادث والوقائع التاريخية سردا مفصلا مشفوعا بالبحث عن جملة الأسباب والعوامل الكامنة وراء تلك الأحداث وحصولها، وهذا المؤرخ غالبا ما كان " يفيء إلى تحكيم العقل في طبيعة الخبر" وإسناد كل دقيقة وتفصيلة إلى مصدرها. وهؤلاء غالبا ما كانوا يعنون بالوثائق المكتوبة إلى جانب الروايات الشفوية، وربما بعضهم قد مكنتهم منزلتهم الاجتماعية وصلاتهم بالسلطة السياسية وأعيان عصرهم من أخذ الروايات من منابعها وهذه هي صفة المؤرخ المتخصص.

٢- مؤرخ يتراوح أسلوبه بين الكتابة التاريخية والنثر الفني، وربما يدل ذلك على حذق بالصناعتين معا، وطبيعي أن نعتبر هذا النوع من الكتابات التاريخية امتدادا لذلك الصنيع الذي أحدثه مؤرخو الأندلس، فقد قامت الصلة المبكرة عندهم بين النصوص التاريخية والاقتباسات الأدبية، بل وأخذت وجهة مألوفة بين الكتابتين (الأدبية والتاريخية).

١١٩ : ج٤، ص٥٩٦.

١٢٠ : حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص٥٩٧، ٦٠١.

٣- مؤلفون مختصون بتدوين التاريخ السياسي العام، وهذا ما يكون عادة سردا عاما للأحداث السياسية، ومؤلفون مختصون بتدوين تاريخ خاص بالأسر الحاكمة والتي حكمت فترة معينة، أو تاريخ خاص بحقبة مخصوصة.

٤- شخصية المؤلف مغيبة تماما ويصعب تحديد ملامحها وحقيقتها، لسبب بسيط يتصل بفقدان هذا الأثر التاريخي، سوى ما ذكرته المصادر القديمة من عنوان المدونة أو الكتاب فقط، وينطبق هذا على المؤلفات المفقودة، أو على جامع رسائل التقاديم (التعيينات).

٨- خاتمة:

أخيرا وفي ضوء دراستنا للنصوص التراثية الأندلسية وغيرها مجهولة المؤلف، وهي عينة فقط وقد خلفنا الكثير، تمكنا من الوقوف عند هذه الظاهرة المتميزة في تراثنا العربي والإسلامي، معرفين بلفيف من هذه المؤلفات الخالدة، مع وقفة يسيرة، و قد حاولنا إبراز نشوء هذه الظاهرة وأنواع هذه المؤلفات، وقد أدلينا برأينا في هذه المسألة – فيما اعتقدنا صوابه- ولم نسرف في تغليب رأينا أو إبراز صحته خوفا من الوقوع في الخطأ والزلل من جهة، ولكي لا نصدّ القارئ عن الهداية دون عمد من جهة أخرى.

ولعل هذه الفكرة قد تجد لدى القارئ الكريم، الباحث والناقد القبول، للبحث في خبايا هذا الموضوع بصورة أعمق، والحمد لله أولا وآخرا.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن الأبار القضاعي:

- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.
- الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٥.

٢- أحمد مختار العبادي:في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٦.

٣- أمحمد بن عبود:

- جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، جمعية تطوان أسمير، مطابع الشويخ، تطوان، ط٢، ١٩٩٩.
- المصادر العربية التاريخية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ط٢، ١٩٩٩.

٤- أبو بكر ابن القوطية:تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩.

٥- بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس في القرن السابع وحتى الثلث الأول من القرن التاسع، نقله إلى العربية: نايف أبو كرم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط١.

٦- جب (H.A.R.GIBB) :علم التاريخ، كتب دائرة علم المعارف الإسلامية (٤)، ترجمة: لجنة دائرة المعارف الإسلامية (إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨١.

٧- ابن حزم الأندلسي:

- جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها: خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠٠٩.
- رسائل بن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧.

٨- حسين عاصي:عبد الرحمن بن عبد الحكم وكتابه فتوح مصر وإفريقية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢.

٩- حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦.

١٠-ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، دت.

١١-الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧.

١٢-ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٩.

١٣-الخشني: قضاة قرطبة، تحقيق ودراسة: ياسر سلامة أبو طعمة، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩، ٢٠٠٨.

١٤- ابن الدّلاّئي: أحمد بن أنس العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد.

١٥-رجب محمد عبد العظيم:العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب اللبناني، دت.

١٦- عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٣.

١٧- السيد عبد العزيز سالم:التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر.

١٨-شارل بيلا:أعمال التاريخ في الأندلس، أصلها وتطورها، ضمن كتاب برنارد لويس، ب. م . هولت: مؤرخو العرب والإسلام حتى العصر الحديث، نقله إلى العربية و قدم له: سهيل زكار، دار التلوين، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨.

١٩-شكيب أرسلان: الإسلام في الأندلس – آخر بني سراج، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥.

٢٠-شمس الدين السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنتال، ترجمة أحمد صالح العلي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، بيروت، لبنان.

٢١- عبد العزيز الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠.

٢٢-ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٣-ابن الفرضي:تاريخ علماء الأندلس، تحقيق : روجية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧.

٢٤-مؤلف مجهول: أخبار حول ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس، نشر ذيلا على كتاب ابن عذاري المراكشي البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٣ : تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان، وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٢٥-مؤلف مجهول:أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، مع كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩.

٢٦-مؤلف مجهول:الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، ، دار الشؤون الثقافية العامة، – آفاق عربية– بغداد، دت.

٢٧-مؤلف مجهول:الأندلس وما فيها من بلاد، تحقيق: خالد حسن الجبالي، دار البشير، الأردن، ٢٠٠٤

٢٨- مؤلف مجهول:الأندلس وما فيها من بلاد، تحقيق: خليل خلف الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٩-مؤلف مجهول:تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.

٣٠-مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، ١٩٧٩.

٣١- مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ترجمة وتحقيق: المستشرق الإسباني لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣.

٣٢-مؤلف مجهول: رسائل موحدية، مجموعة جديدة، تحقيق ودراسة: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب، ط١، ١٩٩٥م.
٣٣-مؤلف مجهول:الطبيخ في المغرب والأندلس على عهد الموحدين، تحقيق: عبد الغني أبو العزم، منشورات مركز الأندلس وحوار الحضارات، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ٢٠٠٣.
٣٤-مؤلف مجهول: العذارى المائسات في الأزجال والموشحات، انتقاها: فيليب قعدان الخازن، دراسة وتحقيق زكريا عناني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠.
٣٥-مؤلف مجهول: مجموعة رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمنية. اعتنى بإصدارها: ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٤١.
٣٦-مؤلف مجهول:مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرابط، المغرب، ط١، ٢٠٠٥.
٣٧-مؤلف مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، ضبطه وعلّق عليه: ألفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٣٨-محمد بنشريفة: ابن عبد ربه الحفيد، فصول من سيرة منسية، دار الغرب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
٣٩-محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٤، ١٩٩٧.
٤٠-محمود علي مكي: تاريخ الأندلس السياسي (دراسة شاملة)، ضمن كتاب: سلمى الخضراء الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩.
٤١-المقري التلمساني: نفح الطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.
٤٢-بن عبد الملك الأنصاري المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بنشريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤م.

“Unknown books in Andalusian history and their historical value (presentation and analysis)”

Abstract

This paper entitled “Unknown books in Andalusian history and their historical value (presentation and analysis)” deals with the phenomenon of Andalusian historical heritage books of unknown author or source, as this study attempted to analyze this distinctive phenomenon in Andalusian historical authoring books in particular, and to stand at its causes and factors of its origin .And in some detail, we mentioned many examples of titles in this field, the missing ones, the printed verified ones, and the manuscripts.

Through this study, the researcher took an easy pause with the unknown author and the features of his scientific and authoritative personality, so that the problematic question shall remain open through the research horizons and its perceptions towards distant visions and profound efforts.